السبت 2 نيسان 2022
العدد 4600 السنة السادسة عشرة
Samedi 2 avril 2022 nº 4600 16ème année

24 صفحة
5000 ليرة

# الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

ملحق خاص

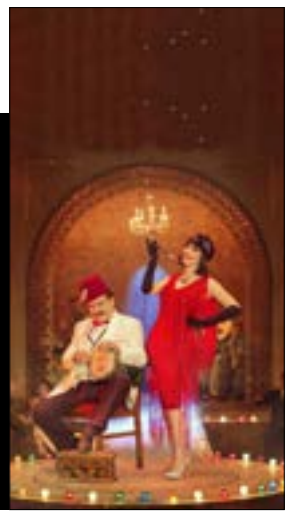

دليل ليالي رمضان 2022

لا حل سحرياً للعمليات و«إسرائيل» تستعد لتصعيد مطوّل [8]

# «معركة الجبل»: رهان الرياض الأخير [2]

اطلب القوس مع الأخبار

# نهاية «نهاية التاريخ»

[10 ـ 11]

(أ ف ب)

البلاد

ملف

يوم الأرض:
هي آخر الطلقات... لا

[12-15]

قضية

نفايات صيدا
**الأزمة**
**«تفرّق العشاق»**

04

تقرير

زيادة بدل النقل وهمية
**الكلفة تضخّمت**
**أكثر من 2000٪**

05

انتخابات 2022

# «معركة الجبل»: رهان الرياض الأخير

لم يكن الرئيس نبيه بري مبالغاً بالقول أمس إن «مستقبل لبنان ومصيره وهويّته وثوابته وسبل الخروج من الأزمة، كلّها مرتبطة بنتائج هذه الدّورة الانتخابية» التي وصفها بأنها «ربما الأخطر في تاريخ لبنان». وقد لا يكون أدلّ على ذلك من التدخل السعودي المباشر، بعد كل الكلام عن عدم اهتمام الرياض بما يجري في لبنان، لإنهاء خلاف بين وليد جنبلاط وسمير جعجع على المقعد الكاثوليكي في الشوف في رهان سعودي قد يكون الأخير على هذا التحالف. فالشوف، وجبل لبنان عموماً، هو المسرح الرئيس للمعركة الانتخابية المقبلة التي يصح أن يُطلق عليها «معركة الجبل». انسحاب سعد الحريري، أو سحبه، جعل من جبل لبنان، بكل دوائره، مسرح المواجهة الرئيسية بين تحالف حزب الله - التيار والحلفاء من جهة، وتحالف جنبلاط - جعجع و«السياديين» الجدد من جهة أخرى، وأشعل السباق بين الفريقين على اجتذاب الناخب السني، في كل الدوائر. بسلاسة، أنهى حزب الله ترتيباته للمعركة الانتخابية في البقاع وبيروت وكسروان - جبيل وبيروت الثانية، وعمل على فك العقد، واحدة تلو أخرى، بين حلفائه. فنجحت مساعيه في البقاع الغربي - راشيا في إعادة لم التحالف بين الوزير السابق حسن مراد وحركة أمل والتيار الوطني الحر ونائب رئيس مجلس النواب إيلي الفرزلي... ليتفرغ إلى ما أحجم عنه في الدورة الماضية من العمل على صياغة تحالف في دائرة الشوف بين حليفيه ونّام وهاب وطلال إرسلان، ومساع لا تزال مستمرة إلى اليوم لحل عقد «البستانيَين»، ناجي وفريد، بما يضمن انضمام التيار الوطني الحر إلى هذا التحالف، ويمكّنه من إفقاد زعيم المختارة نصف مقاعده، وضمان غالبية جديدة في المجلس المقبل للحزب وحلفائه.

ومع حزب الله، يخوض جبران باسيل، في كل الدوائر وبخاصة في جبل لبنان، نزالاً مع رئيس القوات اللبنانية، للفوز بلقب «صاحب الكتلة المسيحية الأكبر». على المقلب الآخر، يستشعر جنبلاط «الخطر» على أبواب المختارة. وبعدما اعتاد، بفضل «الوصاية السورية» التي لا ينفك عن مهاجمتها، الاستئثار بمقاعد الشوف الثمانية، يخوض اليوم معركة الاحتفاظ بأحد المقعدين الدرزيين في هذه الدائرة. فيما يواجه، في المقابل، تغوّل «حليف الضرورة السعودية» سمير جعجع. والأخير الذي لم يخف رغبته منذ انسحاب سعد الحريري بـ«وراثة» الجمهور الحريري المعتدل، لم يجد أمامه بعد «الحرم» الذي فرضه الرئيس «المبعد» على القوات، سوى التحالف مع خالد الضاهر في عكار وأشرف ريفي في طرابلس ومستقبلين لفظهم التيار الأزرق في البقاع الغربي.

(الأخبار)

# لائحة خلدة اليوم... التحف بها باسيل أم لا؟

شاعت في الستينيات عبارة رافقت باستمرار انتخابات الدائرة الأولى لبيروت: زعامة مارونية على أرض ارثوذكسية بأصوات أرمنية ومال كاثوليكي. في وسع دائرة الشوف - عاليه استعارة العبارة وتطويعها: زعامة درزية - مارونية على أرض درزية - مارونية بترجيح سنّي ومظلة شيعية

باللحم الحي يدافع جنبلاط عن المقعدين الدرزيين في الشوف (هيثم الموسوي)

**نقولا ناصيف**

الخامسة والنصف مساء اليوم، تعلن من خلدة لائحة ائتلاف الوزراء السابقين طلال إرسلان وناجي البستاني ووئام وهاب في دائرة الشوف - عاليه. ما يُنتظر أن يسبقها ظهراً ما من شأنه أن يعدّل في صورتها. الأولى والنصف بعد الظهر، هو الموعد النهائي لرئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل كي ينضم إلى لائحة الائتلاف الثلاثي، فيكون رابعهم، أو ينصرف إلى لائحة مستقلة. المرجح أن يكون جواب باسيل إيجابياً في الموعد المضروب، فيحضر مرشحوه إلى خلدة.

بحسب مشاورات الساعات المنصرمة، من شأن التحاق باسيل باللائحة رسوها على المرشحين الآتين: عن

> **من دون حليفين درزي وسنّي تستقوي بهما، يصعب على لائحة باسيل الفوز**

عاليه إرسلان وطارق خيرالله وعماد الحاج وسيزار أبي خليل، وعن الشوف البستاني ووهاب وغسان عطاالله وأحمد نجم الدين وأسامة المعوش وألبير خوري وفريد البستاني (إذا أراد في اللحظات الأخيرة الانضمام إليهم).

على أن امتناع باسيل عن المشاركة في الائتلاف الثلاثي، سيفضي إلى إحلال نديم رعد بدلاً من غسان عطاالله، ومارينو عون بدلاً من فريد البستاني في الشوف، وإبدال أبي خليل بمرشح ماروني آخر في عاليه يجري البحث في اسمه.

بينما أقفل وليد جنبلاط المقعدين الدرزيين في الشوف بترشيح نجله تيمور ومروان حمادة، تركت لائحة الائتلاف الثلاثي مقعداً درزياً شاغراً في الشوف وآخر درزياً في عاليه. بدوره جنبلاط، على جاري ما اعتاد عليه، ترك المقعد الدرزي الثاني في عاليه شاغراً.

أما ما ينتظر انتخابات الدائرة، فلا سابق له:

1 - لا يزال يحول دون انضمام باسيل إليها، طلبه انضمام ناجي البستاني في حال فوزه إلى كتلته النيابية في البرلمان الجديد، الأمر الذي رفضه البستاني وأصر على عمله السياسي المستقل، مميزاً بين التحالف الانتخابي والانضواء الحزبي الذي لا يمت إليه بصلة مباشرة أو غير مباشرة. رفض كذلك عرضاً بالتلميح بدخوله إلى الكتلة من غير أن يقدم على ذلك. في انتخابات 2018 ترشح على لائحة جنبلاط بعد تفاهم مسبق معه على أن لا ينضم إلى كتلته النيابية. كان ترشح للمرة الأولى ضد كمال جنبلاط عام 1972، ثم ضد جنبلاط الابن مرتين على التوالي عامي 1996 و2000 على رأس لوائح مستقلة. ما قاله البستاني سمعه باسيل أيضاً، وسلفاً، من إرسلان ووهاب. فوزهما، أو أي منهما، لن يجعلهما ينضمان إلى كتلته. أخطره إرسلان أنه يريد ترؤس كتلة مستقلة عنه.

2 - يخوض باسيل انتخابات الشوف خصوصاً، بما ترمز إليه المنطقة تاريخياً وسياسياً، راغباً في الاحتفاظ بالمقعد الماروني الذي لا يزال عنده (يشغله فريد البستاني) بعدما تخلى عن المقعد الماروني الثاني (حالماً ماريو عون) واستبدله بالمقعد الكاثوليكي يميل إلى إبقاء فريد البستاني في اللائحة، من غير أن يثق بنجاحه بعدما فاز في استحقاق 2018 بكسر الحاصل لا باصواته التفضيلية. وافق ناجي البستاني على اشتراكهما معاً، بيد أن النائب الحالي أحجم عن الموافقة. ما يعنيه باسيل من إصراره على عدم فقدانه المقعد الماروني في الشوف هو النزال الذي انخرط فيه ورئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع، أحدهما قبالة الآخر: أيهما صاحب الكتلة المسيحية الأكبر في مجلس النواب. يتناحران على المقاعد في كل الدوائر. هو فحسب كل ما يريدانه في هذا الاستحقاق.

بأتت أخيراً الإشكالية التي أحاطت بتأخير إعلان جنبلاط لائحته، وإلى اليوم تأخير إعلان اللائحة المنافسة، وهي المقعد الماروني الثاني المفترض أنه محسوم، بعد أول لحزب القوات اللبنانية لا يزال في عهدته منذ عام 2005. ذلك ما حمل جنبلاط وثنائي إرسلان - وهاب على التفاوض مع البستاني الذي يحضر ومعه حاصله على الأقل. على أنها المرة الأولى في الشوف، ربما بسبب القانون الحالي للانتخاب والتصويت النسبي والحاصل المثبين في حسبان الجميع، يكتسب المقعد الماروني خصوصية مستقلة في ذاته، فيتضاعف التنافس عليه. في ما مضى، لم يُحسب سوى أنه من باب تحصيل حاصل لجنبلاط يُحل فيه من يختار.

3 - من الأسباب الوجيهة للانضمام المحتمل لرئيس التيار الوطني الحر إلى لائحة الائتلاف الثلاثي، تعذّر إيجاده حليفاً درزياً يستقوي به في دائرة ثلث مقاعدها من الدروز، ناهيك بحليف سنّي في إقليم الخروب بات للاقتراع السنّي معه تأثيره الفاعل في نتائج الانتخابات. من دون حليفين درزي - هو أولاً في الحاجة الحتمية والضرورية - وسنّي، يصعب على لائحة التيار الوطني الحر الحصول على أكثر من حاصل ونصف حاصل في دائرة من 13 مقعداً.

4 - ليست المعضلة الدرزية أقل وطأة من تلك المارونية. في لائحة التحالف مع حزب القوات اللبنانية، يدافع جنبلاط عن المقعدين الدرزيين والمقعد السنّي في الشوف وعن المقعدين الدرزي والماروني في عاليه، بعدما اعتاد على مر العقود المنصرمة الاستئثار بالمقاعد الثمانية في الشوف، وأكثر من نصف مقاعد عاليه إبان انفصال الدائرة الانتخابية، تدريجاً منذ عام 2005، بدأ يفقد سيطرته على المقاعد المارونية الثلاثة في الشوف. في الاستحقاق الحالي يواجه جنبلاط امتحاناً غير مجرّب لديه، أقرب ما يكون يدافع باللحم الحي عن المقعدين الدرزيين في مسقطه، متساهلاً حيال كل ما يبعد الخطر عنهما.

5 - ليس خافياً الدور الذي اضطلع به بحماسة حزب الله في انتخابات 2022، بعدما أحجم عنه في الاستحقاق السابق، وهو فرضه التحالف بين إرسلان ووهاب. لحماسته هذه تتمة، هي إبداؤه رغبته في انضمام التيار الوطني الحر إلى التحالف الثلاثي بلا أي شروط مسبقة. ما بات معنياً به حزب الله في دائرة الشوف - عاليه، من غير أن يكون له فيه مقعد شيعي، هدف مزدوج: تقليص حصة جنبلاط في طائفته كما حصة كتلته في البرلمان، ما يرجح أن يفقده نصف المقاعد الدرزية تذهب إلى خصمه إرسلان، بينما يراد لها أن تذهب إلى الغالبية الجديدة التي يطلبها الحزب له ولحلفائه.

أول جرس لتهديد كهذا رمى إليه ائتلاف إرسلان - وهاب بغية تخويف مقعد حمادة في الشوف. ما كان يشغله حمادة قبل استقالته، وكان لا يزال يحتفظ به منذ عام 1990، عندما حل للمرة الأولى بالتعيين في المقعد التاريخي لبهيج تقي الدين المتواصل منذ الأربعينيات، هو في الواقع أول خط دفاع عن زعامة المختارة واستئثارها بها في الشوف. ما لم يسهل على جنبلاط الأب هضمه طوال عقود الأربعينيات والخمسينيات والستينيات والسبعينيات مقاسمة الرئيس كميل شمعون إياه، زعامتهما الدروز والموارنة سواء بسواء. بيد أن أي أحد لم يطرق مرة باب المختارة للدخول إليها عنوة سوى في التاريخ القديم.

## الرياض تحلّ عقدة الكاثوليكي

نجحت المساعي السعودية في اللحظات الأخيرة في إنهاء الخلاف بين الحزب التقدمي الاشتراكي والقوات اللبنانية على المقعد الكاثوليكي في الشوف، بعد ترشيح وليد جنبلاط لرئيس المجلس الاقتصادي – الاجتماعي شارل عربيد فيما أصرت القوات على تحالفها مع الأحرار الذي رشّح فادي معلوف. وبعد تدخل الرياض أعلن عربيد انسحابه ووضعت اللمسات الأخيرة على اللوائح في دائرة الشوف – عاليه، ودائرة بعبدا. وهي تضم: في الشوف: تيمور جنبلاط ومروان حمادة عن المقعدين الدرزيين، جورج عدوان وحبوبة عون وإيلي قرداحي عن المقاعد المارونية الثلاثة، بلال عبدالله وسعد الدين الخطيب عن المقعدين السنيين، وفادي معلوف عن المقعد الكاثوليكي.

وفي عاليه: أكرم شهيب عن المقعد الدرزي، راجي السعد وجوال فضول عن المقعدين المارونيين، نزيه متّى عن المقعد الأرثوذكسي، فيما تُرك مقعد درزي شاغر للنائب طلال إرسلان.

وفي بعبدا: بيار بو عاصي، كميل شمعون، والكسندر كرم عن الموارنة، هادي أبو الحسن عن المقعد الدرزي، سعيد علامة وسعد سليم عن المقعدين الشيعيين.

إلى ذلك، تتواصل الاجتماعات بين المجموعات المعارضة من المجتمع المدني التي ستخوض الانتخابات في دائرة الشوف – عاليه. الكثير من العقد برزت في الساعات الأخيرة إلا أنّ الائتلاف استطاع أمس حسم أسماء غالبية المرشحين بانتظار ما ستؤول إليه المفاوضات مع مجموعة «لحقي».

الأزمة التي ستُحسم اليوم ستكون بسحب «لحقي» مرشحهم عن المقعد السني لصالح حليمة القعقور، على أن تُسمي «لحقي» 3 مرشحين: اثنان عن المقعدين الدرزيين وواحد عن المقعد الماروني.

وحتى ليل أمس، رست لائحة الشوف على: عماد سيف الدين عن المقعد السني، غادة عيد ونجاة صليبا عون عن الموارنة، وشكري حداد عن المقعد الكاثوليكي.

وفي عاليه: زويا جريديني عن المقعد الأرثوذكسي، فادي أبي علام وجاد بجاني عن المقعدين المارونيين، مارك ضو وعلاء الصايغ عن المقعدين الدرزيين.

# هل يقفل «المستقبل» بيروت انتخابياً؟

حقّق الرئيس فؤاد السنيورة الخرق المنشود وأنجز لائحة «بيروت تواجه» التي أُعلنت أمس (خالد قباني وبشير عيتاني وماجد دمشقية وزينة المصري وعبد الرحمن المبشر ولينا التنير عن المقاعد السنية، النائب فيصل الصايغ عن المقعد الدرزي، ميشال فلاّح عن مقعد الروم الارثوذكس، أحمد عياش عن المقعد الشيعي، جورج حداد عن المقعد الإنجيلي)، بعد معلومات عن محاولات لرئيس جمعية بيروت للتنمية أحمد هاشمية بالتأثير على بعض المرشحين فيها.

ولوحظ أن هاشمية وعدداً من المحسوبين على الماكينة الانتخابية لتيار المستقبل، من بينهم محمد السماك وأمين الكردي ومحمد يموت، يعملون لصالح المرشح نبيل بدر، فيما أكّدت مصادر لـ«الأخبار» أن «حركة هاشمية» هي «بإيعاز مباشر من الرئيس سعد الحريري الذي يريد ضرب اللائحة التي يدعمها السنيورة».

في غضون ذلك، أبدت مصادر أمنية خشيتها من أن تشهد العاصمة، من اليوم وحتى موعد الانتخابات، تحركات لأنصار تيار المستقبل في العاصمة لمنع أي نشاط انتخابي وإقفال العاصمة» في وجه الانتخابات «التزاماً بقرار الشيخ سعد». وكان بعض هؤلاء نفّذوا قبل أيام «غزوة» استهدفت خيمة انتخابية لمجموعة «بيروت تقاوم» في طريق الجديدة، ومنعوا نشاطاً انتخابياً لـ«مواطنون ومواطنات في دولة»، كما مُنع مرشحون، من بينهم محمود الجمل، من القيام بجولات انتخابية في نواحٍ متفرقة من العاصمة، وترافقَ ذلك مع تهديدات عبر مواقع التواصل.

هذه الأجواء أثارت «نقزة» لدى أجهزة أمنية من انفلات الأمور، خصوصاً في الأحياء الفقيرة كصبرا وشاتيلا وطريق الجديدة وأرض جلول وقصقص، ومن احتمال تحويل التهديد إلى أفعال تطاول أقلام الاقتراع لجعل «يوم الاقتراع» مناسبة لـ«إظهار الولاء لسعد الحريري».

في موازاة ذلك، نقل عن السنيورة قوله قبل أيام في لقاء انتخابي «إننا أحرارٌ في اختيار الترشح والمشاركة في الاستحقاق الانتخابي، وقبل إعلان انخراطنا في الانتخابات أبلغناهم إياه، ولم يظهر أن لدى أحد مشكلة، غير أن ما حصل لاحقاً اختلف كلياً، وبتنا نتعرض لكثير من المصاعب والتهديدات».

> **مصادر أمنية تتخوف من تحركات لأنصار التيار في يوم الاقتراع**

# لوائح التيار: عقدة القومي مستمرة

مع إقفال وزارة الداخلية باب تسجيل اللوائح منتصف ليل الاثنين المقبل، يبدأ العدّ العكسي للانتخابات المقررة في 15 أيار المقبل. بورصة الأسماء رست على 1002 مرشحاً، أما وتيرة تسجيل اللوائح فلا تزال، بطيئة ومن المفترض أن ترتفع دفعة واحدة مع نهاية الأسبوع، بعدما بات أغلبها شبه منجز، بفعل تصاعد وتيرة الاتصالات في اليومين الأخيرين. فيما بقيت هناك عقبات صغيرة يجري العمل على تذليلها.

آخر المعلومات أشارت إلى أن لائحة التيار الوطني الحر في «بيروت الأولى» اكتملت بعد حسم تحالفه مع الطاشناق، وتضم: نقولا صحناوي (كاثوليكي)، إيلي أسود (ماروني)، شمعون شمعون (أقليات)، كارلا بطرس (أرثوذكس)، ألكسي ماطوسيان وأغوب ترزيان وجورج جوفيليكيان (أرمن أرثوذكس) وسيرج مالكونيان (أرمن كاثوليك).

في كسروان خمسة مقاعد مارونية، حسم التيار مرشحيه فيها، وهم: الوزيرة السابقة ندى البستاني، ربيع زغيب، وسيم سلامة، أنطوان كريدي وعماد عازار. أما في المتن الشمالي، فلم تكتمل لائحة التيار بعد في انتظار اتضاح صورة تحالفه مع الحزب القومي الذي رشح أنطون خليل على لائحة ميشال الياس المر - الطاشناق. ولا تزال المساعي مستمرة لحلّ المشكلة بانسحاب خليل من لائحة المر كشرط للتيار من أجل التحالف في كل الدوائر. أما الثابتون على لائحة التيار في المتن فهم: إبراهيم كنعان (ماروني)، الياس بو صعب (أرثوذكسي)، إدي معلوف (كاثوليكي). وبعد انسحاب سركيس سركيس، رسا خيار التيار مبدئياً على نصري لحود (ماروني) ووليد خوري (ماروني)، فيما يرشح عونياً على مقعد الأرمن الأرثوذكس هو ريكاردو مالكيان نتيجة التزام الطاشناق مع لائحة المر.

عقدة الشمال الثالثة (البترون-الكورة- زغرتا- بشري) من عقدة المتن الشمالي بين التيار والحزب القومي. مرشحا التيار في البترون هما النائب جبران باسيل ومدير مستشفى تنورين وليد حرب، فيما لا تزال المفاوضات قائمة لضمّ مرشح القومي وليد العازار في الكورة إلى جانب المرشح العوني جورج عطاالله. وفي زغرتا يرشح التيار بيار رفول، وسط معلومات عن إعادة تبني المرشح فايز كرم في حال سقط الاتفاق مع الحزب القومي الذي يعارض وجود كرم المدان بالتعامل مع العدو الإسرائيلي على اللائحة.

وفي عكار أيضاً، ينتظر إعلان اللائحة حل العقدة القومية لضم المرشح القومي عن المقعد الأرثوذكسي شكيب عبود إلى لائحة التيار التي تضم مرشحين حزبيين هما جيمي جبور (ماروني) وأسعد درغام (أرثوذكسي) والنائب السابق محمد يحيى، إضافة إلى تسمية حزب البعث المرشح العلوي وحسم هوية المرشحين السنيين الباقيين. وفي صيدا – جزين يخوض العونيون الانتخابات بمفردهم بعدما حسم حليفهم السابق عبد الرحمن البزري تحالفه مع النائب أسامة سعد. بالتالي ستكون لائحة التيار عونية صرف (زياد أسود وآمل بو زيد وسليم خوري) على أن ينضمّ إليها في صيدا منسق التيار عبدالله بعاصيري، فيما لم يحسم انضمام محمد القواس إليها بعد.

> **فشل حل عقدة المتن مع القومي قد تعيد فايز كرم إلى لائحة التيار في زغرتا؟**

# البقاع الغربي - راشيا: القوات وحيدة

عند شروط النائب محمد القرعاوي، اكتملت لائحة «القرار الوطني المستقل» في دائرة البقاع الغربي – راشيا، وتضم إلى القرعاوي (سنّي) النائب وائل أبو فاعور (درزي)، مرشح الجماعة الإسلامية علي أبو ياسين (سنّي)، جهاد الزرزور (ماروني)، غسان السكاف (ماروني)، وعباس عيدي (شيعي).

بعد استبعاد القوات اللبنانية، نزولاً عند رغبة النائب محمد القرعاوي، اكتملت لائحة «القرار الوطني المستقل» في دائرة البقاع الغربي – راشيا، وتضم إلى القرعاوي (سنّي) النائب وائل أبو فاعور (درزي)، مرشح الجماعة الإسلامية علي أبو ياسين (سنّي)، جهاد الزرزور (ماروني)، غسان السكاف (ماروني)، وعباس عيدي (شيعي).

القوات، بعد استبعادها عن اللائحة، لم تجد الكثير من الحلفاء الأقوياء، فعمدت إلى تأليف لائحة غير مكتملة باسم «بقاعنا أولاً»، بالتعاون مع شخصيات خرجت من تيار المستقبل كمنسق عام التيار في البقاع سابقاً العميد المتقاعد محمد قدورة. علماً أن معلومات أشارت ليلاً إلى انسحاب قدورة. وتضم «بقاعنا أولاً»: خالد عسكر عن المقعد السني الثاني، داني خاطر (ماروني)، جورج عبود (روم أرثوذكس)، وغنوة أسعد عن المقعد الشيعي. فيما تُرك المقعد الدرزي شاغراً.

في المقابل، نجحت المساعي في إعادة لم التحالف بين الوزير السابق حسن مراد وحركة أمل والتيار الوطني الحر ونائب رئيس مجلس النواب إيلي الفرزلي، بعد حل عقدة المرشح العوني بوساطة حزب الله. وتضم «لائحة الغد الأفضل» إلى مراد (سنّي)، كلاً من طارق الداوود (درزي)، شربل مارون (ماروني)، إيلي الفرزلي (روم أرثوذكس)، وقبلان قبلان (شيعي). فيما تُرك المقعد السني الثاني شاغراً «اعتماداً لسياسة اليد الممدودة» بحسب مراد.



## حملة على القاضي طنوس

تستمر ملاحقة حاكم مصرف لبنان رياض سلامة أمام المحاكم الأوروبية، وتتوالى قرارات الحجز على أمواله وأملاكه في سويسرا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا بجرائم الاختلاس وتبييض الأموال والتهرّب الضريبي. ترافق ذلك مع طلب من رئيسة هيئة القضايا في وزارة العدل هيلانة إسكندر الحجز على أموال سلامة للحؤول دون مصادرتها لصالح الدول التي تحاكم سلامة في حال ثبت تورطه، باعتبار أنّ هذه الأموال عائدة للدولة اللبنانية. طلب الحجز الذي قدمته إسكندر، أعده المحامي العام التمييزي القاضي جان طنّوس ووقعه مدعي عام التمييز القاضي غسان عويدات قبل نحو ثمانية أشهر مع بدء ملاحقة سلامة. وقد طلب عويدات يومها من هيئة القضايا تكليف محام يمثل الدولة اللبنانية للمتابعة مع المحاكم الأجنبية للمطالبة بحجز أموال سلامة لصالح الدولة اللبنانية، وضع اليد عليها ومنعه من التصرف فيها. وكذلك الأمر مصادرة بدلات الإيجار من قبل وصي قضائي.

وإثر إعلان خبر الحجز على ملايين الدولارات العائدة لسلامة، شُنّت حملة في وسائل الإعلام على طنّوس الذي ادعى على سلامة بجرائم الاختلاس وتبييض الأموال. وبحسب مصادر قضائية، فإن غاية الحملة تنحية طنوس عبر الترويج بأنه ارتكب مخالفات قانونية، والإيحاء بالتالي بعدم وجود اختلاس، ما يعني انتفاء تبيض الأموال وتبرئة سلامة كمقدمة لفك الحجز عن أمواله وممتلكاته.

## توضيح

وردت في «الأخبار» (1 نيسان 2022) تحت عنوان «ميقاتي يرضخ لباريس: تحجيم الحاكم؟» إشارة ذكر اسم بنك لبنان والمهجر حول التحقيقات مع المصارف في ما يخص قضية رجا سلامة. يهمّ بنك لبنان والمهجر التوضيح أنه ليس من ضمن المصارف الخمسة التي يشملها التحقيق. بنك لبنان والمهجر

قضية

## أزمة نفايات صيدا «تفرّق العشاق»

# تراشق الاتهامات لا يشغّل المعمل

**كسرت أزمة النفايات المتكدّسة في أحياء صيدا الجرّة بين حلفاء الأمس وبين رعاتهم السياسيين، من خلال السجالات المتبادلة بين كلّ الأطراف المتورّطة في تردّي وضع معمل صيدا، بعد سنوات طويلة من تزوير الحقائق والتغطية على كلّ المخالفات المرتكبة في الملف**

أمرت الإدارة بتشغيل خط فرز النفايات تشغيلاً صورياً (الأخبار)

علي حشيشو

تفاجأ الصيداويون بتصريحات رئيس بلدية صيدا محمد السعودي الأخيرة، وكأنه تسلّم رئاسة بلدية المدينة حديثاً. لأوّل مرة يهاجم الشركة المتعهّدة (الدائمة) بجمع النفايات (NTCC) لصاحبها ماهر السايس ويتهمه بليّ ذراع البلدية عندما قال: "لن نقبل الخضوع لأحد بملف النفايات وصيدا لن تبقى تحت رحمة قرار من أحد طالما نحن موجودون"، وبالفعل استعانت البلدية أول من أمس بشركة خاصة أخرى وكلّفتها برفع النفايات المتراكمة في الشوارع.

الشركة المتمرّدة، بعد سنوات من الدلع، ردّت على السعودي بأن كلامه "مضحكٌ مبلّ"، وكشف صاحبها ماهر السايس عن أنه يعمل منذ ثلاث سنوات من دون عقد أو دفع مستحقات! وأشار إلى أنّ الآليات التي تقوم الآن برفع جزء من النفايات مستأجرة من شركته من قبل البلدية بـ300 ألف ليرة يومياً (أي أقلّ من سعر نصف تنكة مازوت).

لم يتأخر السعودي بالردّ فأصدر بياناً يصف فيه كلامه بالمخجل، ومطالباً بشكره "لأنني أدفع من مالي الخاص كمساهمة في الحل، وللعلم، إن بلدية صيدا دفعت 550 مليوناً وخمسمئة ألف ليرة كمساهمة في المازوت منها 215 مليون ليرة سلفة شخصية تقدمة مني". وأمس توجّه السعودي مجدداً إلى الشركة مؤكداً عدم التهاون معها "ولن نترك النفايات في الشوارع وسننقلها إلى معمل المعالجة".

### إلى القضاء

الأخطر في الموضوع، اتهام السعودي للشركة بالتملّص من التزاماتها والإخلال بالعقد المبرم معها وبدفتر الشروط لكن "من دون أن تفتح البلدية فمها وتحيل الشركة إلى القضاء، وهي المناط بها الدفاع عن المصلحة العامة للمدينة" حسب قول أحد المناضلين البيئيين الصيداويين، الذي يُحمّل البلدية ومن ورائها النائبة بهية الحريري المسؤولية عن الكارثة البيئية التي تضرب صيدا.

الدعوى القضائية المنتظرة، سترفعها اللجنة البيئية لمهندسي صيدا والجوار، لكن بحق إدارة معمل IBC لمعالجة النفايات وكلّ من يُظهره التحقيق مسؤولاً، بعد تكدّس النفايات. وقد طالبت اللجنة البلدية بتوجيه إنذار الى إدارة المعمل لتخلّفها عن الإيفاء بتطبيق بنود العقد الموقّع معها.

### المعمل لا يعمل

فبعدما تحوّل المعمل إلى مكبّ، ها هو اليوم ينازع بفعل التخبّط الإداري وتبادل الاتهامات بالسرقة (15 مليون دولار)، فيما يتغاضى رئيس البلدية عن حقيقة الكارثة المتمثلة بقيام إدارة المعمل الجديدة برئاسة أحمد السيّد بطمر أطنان النفايات الطازجة يومياً من دون معالجتها. حتى إنه صرّح بأن المعمل "ماشي" وعاد يعمل بشكل طبيعي بعد إصلاح الأعطال التي طرأت على محرّكاته من دون أن يقوم بزيارته، متغافلاً عن العطل الضخم في مفاعل الغاز الذي يحول دون استخراج الغاز واستخدامه بتشغيل المولّدات لتوليد الكهرباء لتشغيل المعمل، وعدم قدرة الإدارة على شراء المازوت لتشغيل المولدات البديلة. ويروي عمّال أن المعمل اشتغل قبل يومين لساعتين على مولّد الغاز قبل أن ينخفض توليد الغاز إلى ما دون المستوى المطلوب بسبب عطل المفاعل، فاشترت الإدارة 200 ليتر من المازوت لتشغيل المولّد الآخر لمدة ساعة واحدة قبل أن يعمّ الصمت أرجاء المعمل الذي من المفترض أن يعمل 24/24 ساعة.

إلى مشكلة المحرّكات تضاف المشاكل الإدارية، ومنها قلة خبرة الإدارة الحالية بآلية العمل بعدما

> **اللجنة البيئية لمهندسي صيدا سترفع دعوى قضائية بحقّ إدارة معمل IBC**

طردت الإدارة الجديدة "الفريق التشغيلي" السابق الذي كان يشغّل الآلات والمعدات، وفقدان السيولة المالية لشراء المازوت وقطع الغيار مع أن المعمل يجني 95 دولاراً عن الطن الواحد من النفايات (250 طناً يومياً)، إلا أن المدير السابق نبيل زنتوت يتهم إدارة السيد وقبله جارودي بالتسبّب بخلاف مع بنك سرادار نتيجة سداد المبالغ المتبقية من قرض بقيمة 18 مليون دولار بالليرة على سعر 1500 ليرة للدولار، ما دفع إدارة البنك إلى احتجاز كلّ المبالغ المحوّلة من البلديات ثمن معالجة نفاياتها، ما انعكس فقداناً للسيولة بيد إدارة المعمل.

النتيجة أن المعمل حالياً خارج الخدمة فعلياً وإنْ أوحت الإدارة بأن الأمور تسير على ما يرام، فقد كشف عمّال أن الإدارة أمرت بتشغيل خط فرز النفايات تشغيلاً صورياً، إذ يجري تشغيل الماكينة بدون العمّال الذين يقومون عادة بفصل المواد البلاستيكية عن العضوية يدوياً، ما يؤدي الى خروج النفايات من الماكينة "كما دخلت".

### مواقف الفعّاليات

كان لافتاً دخول نائبة المستقبل في بيروت رولا الطبش على خط الاتهامات دفاعاً عن زوجها عفيف الجارودي الذي شغل منصب مدير المعمل لوقت قصير، وهاجمت الطبش "القيّمين على المدينة وأصحاب المصالح الخاصة". صيداوياً، فُهم كلامها على أنه هجوم ضد زميلتها بهية الحريري التي تلتزم الصمت، ولم تدلِ بتصريح واحد رغم أنها كانت تتدخّل في الشاردة والواردة في هذا الملف، ورغم أن مستشارها القانوني حسن شمس الدين (مرشح للانتخابات النيابية حالياً)، والذي هو في الوقت نفسه محامي البلدية، يُعتبر من مهندسي كلّ اتفاقات الترقيع التي كانت تحصل بين الإدارة والبلدية والعمّال والمستثمرين.

من جهته، طالب النائب أسامة سعد البلدية ووزارة البيئة والقضاء "بالتحرّك لوضع حدّ للكارثة البيئية جراء تكدّس أطنان النفايات في المعمل الذي أقيم أصلاً لمعالجتها، للحدّ من أضرارها على صحة الناس وتلويث المياه الجوفية".

### انبعاث الغازات يهدّد المولّدات

يشكل تكدّس أطنان النفايات مخاطر كثيرة، وكذلك الطمر العشوائي من دون معالجة، إذ يؤثّر انبعاث الغازات غير الملتزرة تأثيراً خطيراً على البيئة والناس. وبعد دخول غاز الميثان غير الملتزر أول من أمس على مولّد الكهرباء، والذي يحمل كميات كبيرة من غاز كبريتيد الهيدروجين H2S بمقدار 2000 جزء بالمليون-2000 ppm- بينما المعدّل الطبيعي هو جزء واحد بالمليون 1 ppm، سُجّل تصاعد غاز ثاني أوكسيد الكبريت SO2 العالي السمّية، كما أدى إلى إنتاج حمض الكبريت H2SO4 داخل المولّد بفعل اختلاط الغاز مع بخار المياه، ما سيؤدي حتماً إلى تآكل المعدن وتدميره خلال أيام.



تقرير

## الكلفة تضخّمت أكثر من 2000٪

# زيادة بدل النقل وهمية

ندى أيوب

لن يلتزم علاء بالحضور إلى إحدى المؤسّسات العامة حيث يعمل في مدينة صيدا. إذ إن كلفة الانتقال اليومية من منزله في مدينة صور إلى صيدا، ذهاباً وإياباً، تقدر بأكثر من 200 ألف ليرة ثمن نصف صفيحة وقود تحتاجها سيارته لقطع هذه المسافة. أي ما يفوق مليون ليرة أسبوعياً عن 5 أيام عمل، وما مجموعه 4 ملايين ليرة شهرياً. وإن أراد الاعتماد على باصات النقل، ستبلغ الكلفة نحو 100 ألف ليرة يومياً، أي ما مجموعه مليوني ليرة شهرياً. في الحالتين يقول علاء: «تبقى كلفة الحضور إلى العمل، أعلى من قيمة بدل النقل بعد تعديله ومجموعه الشهري مليون و280 ألف ليرة عن 20 يوم عمل».

بحسب الأرقام الصادرة عن إدارة الإحصاء المركزي، فإن كلفة النقل تضخّمت بنسبة 2223% في الفترة ما بين بداية عام 2019 ونهاية كانون الثاني من عام 2022. هذا الأمر يستدعي زيادة بدل النقل اليومي من 8000 ليرة كما كان في عام 2019، إلى 185000 لغاية كانون الثاني 2022، لتعويض التدهور في القدرة الشرائية الناتج من تضخّم كلفة النقل. لكن الحكومة وعلى مراحل كان آخرها بتاريخ 24 كانون الثاني 2022 زادت بدل النقل بنسب متدنية ليصبح أخيراً 64000 ليرة للقطاع العام و65000 ليرة للقطاع الخاص، أي بزيادة نسبتها 700% فقط أو نحو 31% فقط من المستحق. وهذا الرقم جرى التوافق عليه في لجنة المؤشّر في وزارة العمل أواخر تشرين الثاني من العام الفائت، بعد موافقة الاتحاد العمالي العام وأصحاب العمل عليه، بطريقة ارتجالية طالما أن اللجنة لم ترتكز على دراسة واضحة تأخذ في الاعتبار العوامل التالية: التضخّم السريع خلال السنوات الأخيرة، ربط قيمة بدل النقل بارتفاع أسعار النفط عالمياً وانعكاسها على أسعار المحروقات المبيعة في السوق المحلّية، وربط سعرها بسعر دولار السوق الحرّة المطلوب لشراء المحروقات. بمعنى آخر لم يكن هذا الرقم حصيلة معادلة علمية تدلّ على أن مبلغ 65 ألفاً يعوّض تضخّم كلفة النقل، علماً بأن اعتماد معادلة كهذه من قبل لجنة المؤشّر المنكفئة عن الاجتماع منذ 7 سنوات، أمر يعدّ بديهياً للمعنيين، إلا إذا كانت قوى السلطة مستعجلة، وهو ما يفسّر صدور مرسوم تعديل بدل النقل أولاً بدلاً من صدوره مع مرسوم تصحيح الأجور. وذلك يقودنا إلى أمرين تضعهما الحكومة في حساباتها تجاه الخارج والداخل. فهي من جهة، تريد إعادة موظفي القطاع العام إلى مراكز عملهم، وتأمين شبه انتظام في دورة العمل، للقول إنها حقّقت «إصلاحاً» معيناً على طريق مهمّتها المرتكزة على إنجاز خطّة التعافي الاقتصادي المطلوبة من قبل صندوق النقد الدولي. وبالتوازي، تبحث عن إنجاز يعوّم قواها السياسية على أبواب الانتخابات النيابية في أيار المقبل.

على أرض الواقع، يمكن الاستعانة بالمثل الشعبي «حسابات الحقلة لم تطابق حسابات البيدر» لتوصيف سطحية معالجة السلطة للأمور. فبعكس ما راهنت عليه، لا يحضر موظفو القطاع العام إلى مراكز عملهم بشكل طبيعي، إذ يشير نائب رابطة لجنة موظفي الإدارة العامة وليد الشعار إلى أن «مبلغ الـ65000 غير كافٍ، ما دفع الموظفين القاطنين في أماكن بعيدة إلى اقتصار حضورهم على يومين في الأسبوع». وكانت الرابطة قد اقترحت على وزير العمل مصطفى بيرم، قبل إقرار تعديل بدل النقل، ربط قيمة بدل النقل بالمسافة التي يقطعها كل موظف بين منزله ومكان عمله ذهاباً وإياباً من خلال احتساب عدد الكيلومترات بالاستعانة بتقنية الـ«GPS»، وعلى مسؤولية رئيس الوحدة وبإشرافه. رفع بيرم الاقتراح إلى الحكومة لكنه أجهض لأن «السلطة لا تريد القيام بعملها، بل تستسهل تحديد مبلغ مقطوع لا يحقّق العدالة بين الموظفين». حال القطاع الخاص، وإن بدت أفضل، نسبة إلى تعديل بعض مؤسّساته أجور موظفيها بنسب متفاوتة، إلا أنّ جزءاً من القوى العاملة فيه ما زال يعاني، بحسب رئيس «الاتحاد الوطني لنقابات العمال والمستخدمين» كاسترو عبدالله. وهو يشير إلى أن «المؤسّسات الخاصة الكبيرة الحجم، هي فقط من التزم بتطبيق قرار رفع بدل النقل، أما الغالبية لم تطبّقه»، معتبراً أن «المواطن ليس ضمن حسابات الحكومة التي زادت بدل النقل عشوائياً تنفيذاً لإملاءات صندوق النقد الدولي».

> **زيادة بدل النقل إلى 64 ألف ليرة لا يعوّض أكثر من ثلث التضخّم في كلفة النقل**

الحلول التي يطرحها عبدالله، تتمحور حول دعم مؤقت للمحروقات المخصّصة للسائقين العموميين الشرعيين، وتعزيز النقل العمومي المشترك، فضلاً عن تحديد مبلغ مقطوع كبدل صيانة، وربط ذلك بتحديد تعرفةٍ للنقل بحسب الكيلومترات المقطوعة.

ثلاثة أسابيع ما بين إقرار زيادة بدل النقل وبداية الحرب الروسية على أوكرانيا، كانت كفيلة للإطاحة بالزيادة الوهمية، وسط ارتفاع أسعار المشتقات النفطية عالمياً، وعدم ثبات سعر دولار السوق الموازية محلياً. شاءت الظروف أن تكون الحرب السبب المباشر، لكن العلّة في أصل اعتماد السلطة على زيادة مقطوعة تسقط أمام أي متغيّر كسعر صرف الدولار أمام الليرة وأسعار النفط أو ربما رغبة محتكري المحروقات باستعادة نشاطهم كما حصل في الأشهر الأخيرة من العام الماضي. وبفقدان «الرشوة المقنّعة» لقيمتها، فهي لن توصل اللبنانيين إلى أماكن عملهم ولا إلى صناديق الاقتراع في أيار.

### «بدعة» بدل النقل

في عام 2012، أجاز مجلس النواب للحكومة تحديد بدل النقل عبر إقرار القانون رقم 2012/217. في حينها أثار وزير العمل آنذاك شربل نحاس، النقاش حول قانونية بدل النقل كعنصر منفصل عن الراتب، رافضاً توقيع مرسوم النقل، لاعتباره أن بقاء بدل النقل خارج الراتب يحرم الموظف من حقوق أساسية. وفكرة نحّاس عمادها أن السلطة اخترعت «بدعة» اسمها بدل النقل، عوضاً عن تصحيح الأجور وزيادتها، كون بدل النقل لا يدخل في أساس الراتب، بالتالي فإن أي زيادة عليه لا يستفيد منها الموظف في تعويض نهاية الخدمة، ولا يسدّد أصحاب العمل عنها اشتراكات إلى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي. في الخلاصة تحتال السلطة فتسرق جزءاً من الأجر وتحرم الموظف من حقوق مرتبطة به لصالح رأس المال بتخفيفها الأعباء عنه.

ويشار إلى أن لبنان لم يشهد أي تصحيح للأجور منذ عام 2012، في حين باتت الخطوة أكثر من ضرورية بعد عامين من عمر الأزمة الاقتصادية وتدهور القدرة الشرائية للقوى العاملة وسط نسب التضخم الآخذة بالتصاعد وغلاء المعيشة.

تقرير

# أسعار الخضر تحلّق

رضا صوايا

على بعد أيام من بداية شهر رمضان، حلّقت أسعار الخضر والفواكه من دون أي رادع. أسباب الارتفاع مختلفة، في مقدمها ارتفاع كلفة الإنتاج التي انعكست سلباً على المساحات المزروعة، بينما لا يزال غياب الرقابة يلعب دوراً أساسياً في استجدّت بعد الانهيار ثم تطورت وتسارعت وتيرتها. «كنّا قد طلبنا من المعنيين دعم المستلزمات الزراعية بقيمة 150 مليون دولار لأنها تسهم في توفير إنتاج زراعي بقيمة 1 مليار دولار لكن لم نحصل على أي جواب. ففي ظل العوامل القديمة والجديدة، تقلّصت المساحات المزروعة ولا سيما الخيم البلاستيكية بنسبة 40%، وتراجع الإنتاج، فانعكس الأمر على حركة العرض والطلب وارتفعت الأسعار» يقول الحويك.

وتُعد أزمة المحروقات واحدة من أكثر الأزمات التي ترهق المزارعين وتسهم في ارتفاع الأسعار. يكشف إيلي بيطار، وهو مستثمر في القطاع الزراعي وصاحب سوق للخضر، عن «صعوبة تأمين المازوت للمزارعين في منطقة البقاع. أحياناً نضطر للجوء إلى السوق السوداء ونشتري المازوت بسعر أعلى بنسبة 10% إلى 15%». ويلفت إلى أن أسعار الأسمدة تأثّرت أيضاً بارتفاع سعر الدولار، وبارتفاع الأسعار العالمية أيضاً إذ ازداد سعر بعض أنواع الأسمدة من 400 دولار إلى 700 دولار للطن الواحد.

يرفض الحويك ما ينقل عن وزير الزراعة عباس الحاج حسن بشأن الصعبة التي ضربت العديد من المشاريع الزراعية والمزروعات. فالكثير من الخيم التي تنتج الخيار واللوبياء والباذنجان ضربت وتحديداً في عكار، ثم أتت موجة الصقيع لتفاقم كلفة الإنتاج وتؤخّر عملية القطاف».

هذا الوضع ليس مستجداً بالكامل، بل هناك عوامل قديمة وأخرى استجدّت بعد الانهيار ثم تطورت وتسارعت وتيرتها. «كنّا قد طلبنا من المعنيين دعم المستلزمات الزراعية بقيمة 150 مليون دولار لأنها تسهم في توفير إنتاج زراعي بقيمة 1 مليار دولار لكن لم نحصل على أي جواب. ففي ظل العوامل القديمة والجديدة، تقلّصت المساحات المزروعة ولا سيما الخيم البلاستيكية بنسبة 40%، وتراجع الإنتاج، فانعكس الأمر على حركة العرض والطلب وارتفعت الأسعار» يقول الحويك.

وتُعد أزمة المحروقات واحدة من أكثر الأزمات التي ترهق المزارعين وتسهم في ارتفاع الأسعار. يكشف إيلي بيطار، وهو مستثمر في القطاع الزراعي وصاحب سوق للخضر، عن «صعوبة تأمين المازوت للمزارعين في منطقة البقاع. أحياناً نضطر للجوء إلى السوق السوداء ونشتري المازوت بسعر أعلى بنسبة 10% إلى 15%». ويلفت إلى أن أسعار الأسمدة تأثّرت أيضاً بارتفاع سعر الدولار، وبارتفاع الأسعار العالمية أيضاً إذ ازداد سعر بعض أنواع الأسمدة من 400 دولار إلى 700 دولار للطن الواحد.

يرفض الحويك ما ينقل عن وزير الزراعة عباس الحاج حسن بشأن احتكار الخُضر وانعكاسه ارتفاعاً في الأسعار: «كيف يمكن احتكار السلع الزراعية السريعة التلف؟ قفص الخيار إذا لم يُبَع من أول يوم تنقص قيمته بنسبة 40% في اليوم الثاني ويُتلف في اليوم الثالث». لكن ليس موضوع الاحتكار وحده الذي يؤخذ كمبرّر لارتفاع الأسعار، إذ كان هناك كلام أيضاً عن تعويض النقص عبر الاستيراد من سوريا، لكنّ الحويك ينبّه إلى أن «سوريا عانت من نفس الظروف المناخية التي عانى منها لبنان، أي أن إنتاجها تأثّر أيضاً بالصقيع والبرد وتراجع في ظل تقلّص المساحات المزروعة. تصلنا البندورة السورية بـ90 سنتاً أي نحو 22 أو 23 ألف ليرة لبنانية. أما من الأردن، فسيضاف إلى السعر كلفة الشحن التي باتت مرتفعة بسبب ارتفاع أسعار النفط العالمية، فضلاً عن أن الأردن أيضاً عانى من الظروف المناخية نفسها».

رغم ذلك، يصرّ وزير الزراعة في تصريحاته على خفض الأسعار عبر الاستيراد من الخارج ولا سيما من الأردن وسوريا. فهو وعد بأن «تكون هناك منتجات مستوردة من الخارج بكميات مضاعفة خصوصاً في أول شهر رمضان حتى لا تكون هنالك زيادة في الأسعار».

إذاً، كيف سيسهم الاستيراد في خفض الأسعار إذا كان يصل إلى السوق اللبنانية بكلفة توازي سعر السلع الزراعية اللبنانية؟ الانخفاض الوحيد في الأسعار قد ينتج عن تسريع عملية القطاف مع ارتفاع درجات الحرارة، إذ يؤكد الحويك أن «تحسّن الطقس سيسرّع عملية القطف. وعوض 10 أيام لقطف البندورة والخيار، ستتقلّص المدّة إلى 3 أيام، وبالتالي تتوافر في السوق كميات أكبر. لكن بالنسبة إلى الحشائش فالمدّة قد تكون أطول. لذا، فإن التوقعات بأن ترتفع الأسعار أول أسبوع من شهر رمضان ثم تنخفض وتستقرّ».

> **تراجع بنسبة 40% في المساحات المزروعة بالخيم البلاستيكية**

براي بيطار، فإن الأسعار «قد تنخفض بنسبة 50% بعد أسبوع من بداية شهر رمضان مع زيادة الإنتاج والعرض». بهذا المعنى، الاتكال يصبح على تقلبات الطقس. أما الدولة فهي غائبة، ولا سيما عن مراقبة الأسعار بين حلقات الإنتاج وتجارة الجملة وصولاً إلى تجارة التجزئة. فحتى الآن ليس هناك أي مبادرة جديّة وفعّالة لدعم الإنتاج الزراعي وخصوصاً مع تفاقم حدّة اختلال الأمن الغذائي. يستنكر الحويك ما يحصل: «الوزارة غائبة عن السمع، وما حدا فارقا معو. هل يريدون إقناعنا بأنهم الآن سيعالجون مشاكل عمرها عقود. منذ أكثر من عشرين عاماً ونحن ننادي بالحلول ولا أحد يستجيب». فمن أبرز الحلول المطلوبة «دعم تركيب الطاقة الشمسية للمزارعين. لا توجد قدرة على تأمين المازوت لريّ المزروعات والكثير من المزارعين قد يتوقفون عن الزراعة. ونحذر منذ الآن من صعوبات قادمة في فصل الصيف إذا لم يُعالج هذا الموضوع».

(مروان بو حيدر)

# كيف ستعيد أميركا تشكيل العالم بعد أوكرانيا

أسعد أبو خليل *

ملامح مرحلة جديدة في تكوين العالم وتوزيع القوى والقوّة فيه ترتسم بسرعة. الحكومة الأميركيّة في طور تأنيب الضمير (الإمبريالي) ومراجعة الذات (الحربيّة)، هي غير راضية عن شكل الكوكب. كانت تظنّ أن انهيار الاتحاد السوفياتي سيضمن لها السيطرة على الكون لأجيال وأجيال. ما مِن إمبراطوريّة تظنّ أن سيطرتها يمكن أن تزول أو أن تضمحلّ. ضمان الاستمراريّة الأبديّة للسطوة الأميركية هي الشغل الشاغل لمخطّطي البنتاغون. كان واحد من أولى أعمال وزير الدفاع الأميركي الأسبق، دونالد رامسفيلد، تشكيل لجنة من الخبراء والمؤرّخين لاستخلاص دروس عن انهيار الإمبراطوريّات في التاريخ (أتى ببرنارد لويس، المستشرق الصهيوني، من أجل أن يشاركهم انطباعاته عن الخطر الإسلامي وعن دروس انهيار الإمبراطوريّات الإسلاميّة). كل تقارير «استراتيجيّة الأمن القومي» التي تصدر عن كل إدارة جديدة تكون مهووسة بالأخطار المحتملة من جهات محدّدة، خصوصاً الصين. لم تكن أميركا تحسب حساباً للخطر الروسي. هي اليوم في مرحلة إعادة النظر. من المرجّح أن هناك إعادة تنظيم للميزانية العسكريّة والاستخباراتيّة لرصد ميزانيّة أكبر لمواجهة الخطر الروسي (الكونغرس زاد على رقم الميزانية التي طلبها منه بايدن). لا تزال أميركا تستخف بالقوّة الروسيّة مقارنة بخوفها من الخطر الصيني الداهم. القوة الاقتصاديّة هي أهم عناصر القوّة في الحسبان الأميركي لأنها هي التي تؤهل لميزانيّات عسكريّة ضخمة. ميزانيّة روسيا العسكريّة لا تصل إلا إلى 8 في المئة من الميزانيّة العسكريّة الأميركيّة العملاقة. اللحاق مسألة صعبة، والحصار الاقتصادي الخانق الذي باتت أميركا تتقنه لخنق الشعوب فعّال للغاية في إضعاف القوة العسكريّة. وحدهما إيران وكوبا، أوجدتا طرقاً ووسائل للخروج من الحصار الجائر بخسائر أقلّ (نسبيّاً، لكن الـ«إيكونومست» اعترفت قبل أسابيع أن اقتصاد إيران أفضل ممّا كان وممّا تريده له أميركا).

أميركا غير راضية عمّا يجري في أوروبا اليوم. هي كانت واثقة أنها حاصرت روسيا وستمنعها من ممارسة أي نفوذ خارج حدودها. حتى في داخل حدودها، هي كانت ناشطة في التجسّس وفي الاختراق عبر منظمات المجتمع المدني ومن قبل الإعلام المسمّى «جديد» و«مستقل» (ماذا لو أطلقنا على الإعلام الممّول من إيران وصف «المستقل» كما تطلق وسائل إعلام «جديدة» على نفسها وصف المستقلّة فقط لأنها تتلقّى التمويل من حكومات ومؤسّسات أوروبيّة رجعيّة، لكنها تجزم أن لا أجندة عند حكومات أوروبا لأنها منزّهة). وكان أي معارض روسي، ولو لم يحظ بشعبيّة في بلاده، يتلقّى تغطية واسعة وبطوليّة في إعلام الغرب. وكل معارض روسي يمرض، يكون هدفاً لمؤامرة من بوتين. وقبل أسابيع نشرت صحف غربيّة خبراً عن مقتل صحافيّة روسيّة كانت قد انتقدت بوتين. هكذا كانت العناوين. لكن عندما تقرأ الخبر تدرك أن الموضوع هو عنف شخصي، وأن صديقها قتلها وأنه ليس من أسباب سياسيّة لما جرى. ولنتذكّر أن يحيى شمص (المتهم بصلات مخدراتيّة) تلقّى تغطية واسعة في إعلام الغرب فقط لأنه معارض لحزب الله. فلنتوقّف لبرهة عند هذه المفارقة: تلقّى يحيى شمص تغطية في إعلام الغرب أكبر بكثير من تغطية النائب محمد رعد، الذي نال أكبر عدد أصوات في آخر انتخابات. هذا يعطينا فكرة عن معايير وحسابات الغرب (أشكّ أن واحداً من المراسلين الغربيين، أو واحدة، التقت بمحمد رعد). أميركا قلقة من التحدّي الذي لاقته من بوتين في هذه الأزمة. لم تكن تتوقّع ذلك مع أنه كانت هناك مؤشرات على نقمة روسيّة-صينيّة من سلوك الغطرسة الأميركي والذي تجلّى في الغزو الغربي لليبيا.

الحكومة الأميركية غاضبة جداً وهذا يظهر في سلوكها. حظر الإعلام الروسي وإصدار تنبيهات تويتريّة عن روابط لإعلام معاد ـ مع دولة ليست أميركا في حالة عداء رسمي معها ـ يشي بحلول مرحلة جديدة في العلاقة الدوليّة وفي إدارة الوضع الداخلي. ما إن تحرّك الجيش الروسي حتى اضمحلّ الخلاف في الداخل الأميركي وأصبح اليسار الصغير في الكونغرس الأميركي متحمّساً للحرب، ويشارك القوى المتنفّذة في الحزبيْن في عنفوان الوطنيّة والإصرار على السيطرة الأميركية الكليّة. لم تعد مساحة النقاش في الغرب كما كانت حتى في سنوات الحرب الباردة. كانت هناك إمكانيّة مناقشة فرضيّات الإدارات الأميركيّة عن الاتحاد السوفياتي، لكن هذا غائب اليوم. تجول بين الصحافة الأوروبيّة والأميركيّة ولا تجد أي مساحة نقديّة. ليس هناك من رأي معارض أو مختلف. حتى الكتّاب الذين يعارضون ـ أو كانوا يعارضون ـ توجّهات إمبراطورية الحرب سكتوا، لا بل أسهموا من خلال كتاباتهم في المجهود الحربي (هالني مثلاً كتابات ميشيل غولدبيرغ، الكاتبة في «نيويورك تايمز»، والتي عرفتها بعد 11 أيلول وكانت في موقع «صالون» من القلّة المعترضين على التعامل الأميركي مع المسلمين).

ماذا ستفعل أميركا في خلال الأزمة وبعدها. على الأرجح أن الإدارات المتعاقبة ستلجأ إلى جملة من السياسات والأعمال بما فيها:

1- تدعيم حلف شمال الأطلسي وزيادة الإنفاق العسكري فيه. المانيا باشرت بزيادة الإنفاق العسكري وسيكون مطلوباً منها الأكثر. ألمانيا أعلنت على الفور زيادة إنفاقها العسكري بنسبة 112 مليار دولار، مما يزيد نسبة الإنفاق من مجمل الناتج القومي إلى 2 في المئة من 1,53 في المئة والتزمت ستّ دول في حلف شمال الأطلسي بزيادة الإنفاق العسكري بنسبة 133 مليار دولار. حتى السويد الحيادية المسالمة التزمت بالزيادة. وسويسرا ضربت بحياديّتها التاريخيّة عرض الحائط كي الإنفاق تلبية للمطالب الأميركيّة بالإذعان والطاعة من قبل كل دول أوروبا، في «الناتو» وفي خارجه. ونسبة الـ 2 في المئة من الناتج القومي على الإنفاق العسكري كانت قد وصلته دول اليونان وكرواتيا وبريطانيا وإستونيا ولاتفيا وبولندا ولتوانيا ورومانيا وفرنسا ـ وهذه النسبة كانت قيادة «الناتو» قد طلبتها. أميركا كانت في مرحلة إعداد

> **ما إن تحرّك الجيش الروسي حتى اضمحلّ الخلاف في الداخل الأميركي وأصبح اليسار الصغير في الكونغرس الأميركي متحمّساً للحرب**

> **اليوم، أميركا في موقع صعب. كيف تقترب من الصين أكثر وهي تكنّ عداءً نحو الصين يفوق عداءها نحو روسيا؟ والعلاقة بين الصين وروسيا ممتازة**

للمعركة المقبلة. وبدلاً من تخفيض عدد أعضاء الحلف، ستصرّ أميركا على زيادة الأعضاء وقد تصرّ في مرحلة لاحقة على ضمّ أوكرانيا إلى الحلف لاستفزاز روسيا واستدراجها إلى مواجهة عسكريّة. وليس مستغرباً لو أن أميركا أصرّت على حيازة ألمانيا على السلاح النووي (تحتفظ أميركا بسلاح نووي على الأرض الألمانيّة بالرغم من معارضة الشعب هناك لذلك في السبعينيّات والثمانينيّات). وعدد الأسلحة النوويّة الأميركيّة في أوروبا غير معروف (سرّي) وهو يُقدّر بـ 100 منتشرة في ست دول على الأقلّ. وهذا السلاح نُشر منذ الخمسينيّات ولم يؤثّر انهيار الاتحاد السوفياتي على وضعه. أي أن أميركا تستعمله ليس فقط لتخويف الاتحاد السوفياتي بل لبسط سيطرة أميركيّة تامّة على القارّة.

2- التفكير الجدّي في إزال السلاح النووي التكتيكي إلى الميدان. والسلاح النووي التكتيكي هو سلاح يقضي على أحياء في مدن بدلاً من تدمير مدينة بكاملها. و«نيويورك تايمز» نشرت قبل أيّام مقالة تحاول فيها جعل فكرة استعمال النووي التكتيكي مقبولة من العامة. وقد أدلى مسؤول استخبارات سابق في أميركا برأيه، وقال: «لا يمكنك إدارة الخدّ الأيسر كل الوقت». والحديث عن السلاح النووي التكتيكي سبق هذه الأزمة. ومن المعروف أن أميركا هدّدت نظام صدّام به. ففي اللقاء الشهير قبل الحرب في 1991 بين جيمس بايكر وطارق عزيز، هدّد جيمس بايكر، في تلميح كان أقرب إلى التصريح، بأن أميركا سترد بصورة فظيعة إذا أصاب جنودها سلاح كيماوي عراقي (لم يكن النظام العراقي يملك سلاحاً كيماوياً كما هو معروف). وأميركا كانت على وشك استعمال النووي التكتيكي في معارك تورا بورا في أفغانستان كي تهدم الجبال فوق رؤوس المختبئين فيها عندما أصيبت بالحنق من الفشل في العثور على حليفها السابق، أسامة بن لادن. طوّرت أميركا بعدها قنبلة الـ«مواب» وهي قنبلة ذات قدرات تدميريّة هائلة لا يفوق قدرتها إلا السلاح النووي. ولم تتوقّف أميركا عن رمي الـ«مواب» على أفغانستان ـ التي لم تعانِ، بنظر إعلام الغرب، وإعلام التمويل الغربي إلا بعد مغادرة جيش الاحتلال الأميركي لها.

3- جعل حلف شمال الأطلسي حلفاً عالمياً. لقد رُفعت مرتبة قطر في التحالف مع أميركا. في الوقت الذي كان فيه حكام العرب ينتظرون الفرصة للقاء بايدن (الذي لا يزال يرفض مهاتفة محمد بن سلمان)، دعا بايدن الأمير القطري إلى لقاء خاص وحميم في البيت الأبيض، وتمّ الإعلان عن رفع مرتبة قطر إلى «حليف أساسي من خارج الناتو». واللقاء بين بايدن والحاكم القطري سبق الحرب على أوكرانيا وهو تضمّن حديثاً عن مدّ ألمانيا وأوروبا بالغاز القطري (يبدو أن أميركا كانت مستعدّة جيداً لهذه الأزمة، قبل أشهر من التدخّل العسكري الروسي). ولقد أخذت قطر مرتبتها الجديدة على محمل الجدّ وهي تحاول جاهدة الظهور بمظهر الدولة الغربيّة في عواطفها الجيّاشة نحو الشعب الأوكراني. لم يلقَ شعب فلسطين هذه العاطفة الجيّاشة من قطر من قبل. إعلام النظام القطري لم يكن في هذه الأزمة إلا اجتراراً لإعلام حلف شمال الأطلسي، وتتعامل «الجزيرة» وغيرها مع أوكرانيا أنها هي قلب العروبة النابض.

4- إيلاء الحلفاء بين الأنظمة الاستبداديّة أهميّة أكبر وتوليّة مصالحهم في العلاقات. أسابيع فقط من الحرب الروسيّة على أوكرانيا وأميركا تصلح علاقاتها مع النظام السعودي والإماراتي. النظام القطري لا يحتاج إلى عناية خاصّة لأنه مطلق الطاعة والولاء ومرتبته التحالفيّة ارتفعت في نظر واشنطن. والنظام السعودي عبّر عن امتعاضه في حديث مع «وول ستريت جورنال» عن كثرة الإشادة الأميركيّة بالحليف القطري. لكن تحفّظ الحكومة السعودية والإماراتيّة، وحتى حكومة العدوّ، عن اعتناق موقف «الناتو» بالكامل (بالنسبة إلى روسيا) أزعج الحكومة الأميركيّة. أكبر مما كانت في حينه. ماذا تستطيع أن تقدّم أميركا للصين اليوم؟ اعتبارها دولة عظمى وهي كذلك من دون مبالغة أميركية ديبلوماسيّة.

7- جرّ روسيا إلى حروب إنهاك. هناك نظريّة أن الحرب الروسية في أوكرانيا لم تكن إلا فخّاً نصبته أميركا لها. وأميركا تحمّست كثيراً لهذه الحرب وكان واضحاً أنها كانت تعدّ لها. كانت القوّات الأميركيّة قد انتشرت في أنحاء مختلفة من أوروبا خصوصاً في بولندا، بالإضافة إلى تولّي أجهزة والحلفاء من أمثال السعودية والإمارات سيحظون بالمزيد من الدعم الأميركي، السياسي والعسكري. سنسمع عن شحنات سلاح جديدة وعن قواعد أميركية جديدة وعن وفود وزيارات كثيرة. والحاكم السعودي الشاب بات في موقع تفاوضي حول صعوده إلى العرش، وحظوظ نيله الرعاية الأميركيّة لصعوده باتت شبه محسومة. الاهتمام بطغاة الخليج كان بادياً هذا الأسبوع، حيث حرص وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، على ترضية محمد بن زايد ومبعوثين سعوديّين. والأكاديمي الشاب، غريغوري برو، على حق عندما علّق قائلاً إن هذا الاهتمام من قبل إدارة بايدن بالأنظمة الاستبداديّة بالخليج ينسف نظريّة هنتنغتون من أساسها.

5- حظر التسليح الروسي. هناك قانون أميركي من عام 2017 يُعرف بأحرفه الأولى، قانون «كاتسا» وهو يفرض عقوبات على الدول التي تدخل في عقود مع روسيا في مجال الدفاع والاستخبارات «بصورة كبيرة». أي إن القانون ضبابي وهو كان يفترض أن يعاقب تركيا والهند لاستيرادهم شبكة «أس 400». لكن مرتبة الحلفاء أدّت إلى التساهل كما أن علاقة تركيا بروسيا وبأوكرانيا أفادت أميركا لتمرير رسائل. لكن مساعي التفاوض التركيّة قد لا تكون مُحبّذة في واشنطن لأن أميركا تريد من هذه الحرب أن تستمرّ إلى ما لا نهاية لو أمكن من أجل استنفاد طاقات وموارد روسيا. وقد كتب ديفيد شينكر («عرّاب نخبة «ثوّار» لبنان») مع زميل له من «مؤسّسة واشنطن» مقالة في «وول ستريت جورنال» يدعوان فيها إلى التشدّد في العقوبات على الحلفاء الذين يستوردون السلاح من روسيا. لن تتساهل أميركا في هذا الخصوص بعد اليوم. أي إنه من المتوقّع أن تزيد المبيعات الأميركية من الأسلحة.

6- التعامل مع مثلّث القوة في العالم. ريتشارد نيكسون نظر إلى توزيع القوى في العالم ورأى أن العالم المثلث الأقطاب يحتّم محاولة طرف فيه جذب طرف آخر له. هذا ما حفّزه على تجاوز موانعه العقائديّة من أجل أن يبيع تايوان ويغضّ النظر عن عدائه المرضي ضدّ الشيوعية لكسب الصين إلى صف أميركا. لم تصبح الصين حليفة لكن كل ما يحتاجه المُخطّط في العلاقات الدوليّة أن يكون طرفه أقرب إلى طرفٍ ثانٍ من الطرف الثالث في المثلّث. لم ما حصل وأضعف الموقع السوفياتي. كان وضع الاتحاد السوفياتي سيكون أفضل بكثير لو أنه اعتنى أكثر بإصلاح العلاقة مع الصين لتفويت الفرصة على التآمر الأميركي ضدّه. اليوم، أميركا في موقع صعب. كيف تقترب من الصين أكثر وهي تكنّ عداءً نحو الصين يفوق عداءها نحو روسيا؟ والعلاقة بين الصين وروسيا ممتازة وهي أوثق بعد أزمة أوكرانيا لأن الصين تحتاج إلى تعاون روسي من أجل اجتراح سبل تجاوز العقوبات الأميركية القاسية والوحشيّة (هي وحشيّة على الشعوب قبل أن تكون ضد الأنظمة). ومهما حاولت أميركا أن تُبعد الصين عن روسيا، فليس لديها ما تعطيه للصين غير تخفيف حدّة العداء الشديد. وتخفيف حدة العداء لا يغيّر من التخطيط الاستراتيجي الأميركي الذي يتعامل مع الصين على أنه الخطر الأكبر. أميركا كان لديها الكثير لتقدّمه للصين في عام 1970: عضويّة مجلس الأمن وطرد تايوان من الأمم المتحدة بالإضافة إلى إنشاء علاقة ديبلوماسيّة، بالإضافة إلى التعامل مع الصين على أنها دولة أكبر مما كانت في حينه. ماذا تستطيع أن تقدّم أميركا للصين اليوم؟ اعتبارها دولة عظمى وهي كذلك من دون مبالغة أميركية ديبلوماسيّة.

7- جرّ روسيا إلى حروب إنهاك. هناك نظريّة أن الحرب الروسية في أوكرانيا لم تكن إلا فخّاً نصبته أميركا لها. وأميركا تحمّست كثيراً لهذه الحرب وكان واضحاً أنها كانت تعدّ لها. كانت القوّات الأميركيّة قد انتشرت في أنحاء مختلفة من أوروبا خصوصاً في بولندا، بالإضافة إلى تولّي أجهزة الاستخبارات الأميركيّة مهمّة تقرير أجندة الصحف الأميركيّة. فتحتْ ثلاث صحف من باب التجربة: «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» و«غارديان» البريطانيّة. نفس الأخبار والعناوين موجودة في الصحف الثلاث، ومنسوبة كلّها لمصادر عسكريّة واستخباراتيّة أميركيّة. كانت الصحف البريطانيّة تتميّز عن الصحف الأميركيّة لكن ذلك تغيّر منذ الحرب في سوريا حين تطابقت التغطية بالكامل وأصبحت الـ«غارديان» أكثر تصلّباً في الصهيونيّة وفي تأييد آلة الحرب الأميركيّة من صحف أميركا. قد تصل أوكرانيا وروسيا إلى تسوية لكن أميركا ستعطّلها. طلع المبعوث الأوكراني إلى مفاوضات تركيا بين الطرفيْن بتصريحات متفائلة لكن وزير الخارجيّة الأميركي سرعان ما أبطل مفعول التفاؤل وخفّض منسوب الترحيب بشأن التقدّم في المفاوضات. أميركا تبحث عن حرب أفغانستان جديدة كي تغرق روسيا في حرب لا تنتهي إلا بانهيار الدولة. ليس هناك من تعداد للسلاح الذي هطل على أوكرانيا، لكن تذكّر أو تذكّري أن حتى السويد والنروج شاركت في الحرب الأوكرانيّة.

8- التركيز على دول العالم النامي في الاستراتيجيّة الأميركيّة لصنع تحالف عالمي ضد أعدائها. الصحف الغربيّة ضجّت بقوّة التحالف العالمي الذي تقوده أميركا (طبعاً تحت مسميّات الحريّة ـ وتحالف الحريّة هذا يضمّ مستبدّين من كل حدب وصوب)، لكن الواقع في تصويت الجمعيّة العاميّة للأمم المتحدة أثبتت عكس ذلك. كانت أميركا تريد أن تحصل على إجماع كل دول العالم لكن تحالفها كان غريبًا صرفاً. دول كبرى في العالم النامي حاولت الحفاظ على مسافة من موقف أميركا. الهند وجنوب أفريقيا والصين وباكستان كلّها تحافظ على علاقة وديّة مع روسيا. ستضطرّ أميركا إلى إنفاق المزيد من المال وشحن المزيد من السلاح وشنّ المزيد من الحروب لجلب المزيد من دول العالم النامي إليها. لقد فضحت هذه الحرب الطابع العنصري الصارخ للتحالف الغربي ومعاييره. لم يعد ممكناً ستر طبيعة سيادة العنصريّة البيضاء في صلب التحالف الغربي. لا يمحي ذلك الترحيب بمسؤول من هذه الدولة الآسيويّة أو نشر خطاب وزير الخارجية الكيني الذي هو في الأساس أداة بيد الإدارة الأميركيّة. (واختفى وزير الخارجية الكيني عن الساحة بعد خطابه في الأمم المتحدة، والذي أراد به البروباغندا الأميركيّة أن يصبح شهيراً لأنها استعملته بصورة عنصريّة كي تُكسي عدوانيّتها بلسان فرد أفريقي).

9- الحرب الدعائيّة ستستعر أكثر من أي وقت. رأينا ذلك على مرّ الأسابيع الماضية. «واشنطن بوست» (وهي أكثر مطبوعة ملتصقة بأجهزة الاستخبارات الأميركيّة) دعت جهاراً إلى تكرار تجربة الحرب الباردة في شنّ «حرب ثقافيّة» ضد روسيا وغيرها من أعداء أميركا. لكن الصحيفة نسيت أن الحرب الثقافية الماضية تضمّنت نشر عقيدة بن لادن وصحبه حول العالم لأن تلك العقيدة كانت مؤاتية ضد الشيوعيّة.

نحن في مرحلة قلقة ومضطربة من العلاقات الدوليّة. صحف الغرب (وتوابعه في بلادنا) مشغولة بالتدخّل العسكري الروسي في أوكرانيا. لكن التدخّل الأميركي في أوكرانيا لا يقلّ عن تدخّل روسيا. هل من شكّ أن ضبّاطاً أميركيّين يقودون كل العمليات العسكريّة الأوكرانيّة؟ هل من شك أن هناك شركات علاقات عامّة تكتب خطب القادة الأوكرانيّين (لقد علمنا رسميّاً أن شركة علاقات عامّة استأجرتها حكومة بايدن كي تكتب خطب سفيرة أوكرانيا في أميركا). أميركا لن تتوقّف، هي ستستمرّ لأنها في طور الانتقام من تحدّي روسيا لها. والانتقام الأميركي، كما رأينا بعد 11 أيلول، أبشع بكثير من عوائد القبائل العربيّة القديمة.

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر
@asadabukhalil



# من يصرخ أوّلاً؟!

سعد الله مزرعاني *

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ومنظومته قبل ثلاثة عقود ونيّف، بقيت واشنطن، وحدها، قوة عظمى، متفوّقة وحاضرة في كل قارات الكوكب وبلدانه. نشوة الانتصار ولّدت شعوراً عارماً بفائق القوة لدى النخب الأميركية الحاكمة، ما أتاح للرئيس بوش الابن «والمحافظين الجدد» تبنّي استراتيجية صاخبة يتم بموجبها وضع «قوة أميركا غير القابلة للتحدي» في خدمة اقتصادها الإمبريالي الذي تديره، وتدير سياساتها شبكة احتكارات عابرة للقارات. يقع في قلب هذه الشبكة «المجمَّع العسكري الصناعي» الأميركي الذي يقع، بدوره، في نطاق إدارة سياسية مخابراتية إمبراطورية معقّدة ومترسّخة تعُدّ نفسها «الدولة العميقة» للعالم بأسره! كانت «الحروب الاستباقية» إحدى الأدوات المعلنة التي نصّت عليها صراحة «استراتيجية الأمن القومي» الصادرة عن «البيت الأبيض» الأميركي في أيلول 2002. في السياق، عنى ذلك أن واشنطن باتت القوة الوحيدة، في العالم، القادرة على خوض حروب هجومية على بُعد آلاف الأميال عن حدودها. لقد تجاوزت واشنطن نفسها، في قرارها شن الحرب على العراق في نيسان عام 2003، وخصوصاً بعد هزيمتها في فييتنام وما تولّد عنها من خسائر وعقد. وهي اندفعت، مرة جديدة، بمبررات خادعة، في عملية غزو، منطلقها العراق، ومداها كل «الشرق الأوسط الواسع» (من باكستان إلى موريتانيا)، وهدفها إعادة ترتيب العلاقات والتوازنات الدولية وصياغتها لمصلحة الإمبراطورية الأميركية وحليفها الصهيوني (إقليمياً) دون سواهما!

فشلت المغامرة الأميركية بسبب ما واجهته من مقاومة، كان طابعها الغالب شعبياً. تفرّد واشنطن وعنجهيّة إدارتها انقلبا إلى خيبة وهزيمة وخسائر تفوق ما تسبّبت به بطولات الشعب الفييتنامي. ليس ذلك فقط، بل إن الجموح الأميركي، بوصفه تعبيراً عن نهج عدواني توسّعي بالحروب والغزو واستباحة سيادة البلدان واستتباعها، عبّأ قوى عديدة عانت من التدخل الأميركي ومن عدوانيته ونزعته للهيمنة والتفتيت على حساب مصالح الدول والشعوب، بما فيها دول حليفة لواشنطن!

بوتين، الرئيس الروسي القادم من جهاز الاستخبارات السوفياتي الشهير الـ«كي جي بي»، فرض نفسه وريثاً بديلاً للرئيس يلتسين الذي انسحب بعدما أكمل مهمته القذرة. اكتشف بوتين سريعاً دور واشنطن الكبير في انهيار المنظومة التي كان أحد حراسها. اكتشف، أيضاً، دورها الممتد والخطير في السعي لتفكيك روسيا نفسها، ونهب ثرواتها وتراثها، ودفعها لتصبح بلداً متخلفاً، تابعاً، ضعيفاً، ومفككاً. إلى ذلك، اكتشف سعي واشنطن الدؤوب لإبعاده هو عن السلطة من خلال التدخلات المباشرة في الانتخابات الرئاسية. ثم كان الاحتلال الأميركي للعراق الذي أدى إلى انهيار عقود روسيا مع رئيسه صدام حسين بقيمة 40 مليار دولار، فضلاً عن انهيار مشاريع المؤسسات الروسية في العراق (خصوصاً التنقيب عن النفط) دون أمل بالتعويض أو حتى بإبداء الأسف!

كل الأسباب كانت تحفّز الرئيس الروسي على مناهضة الغزو الأميركي وعلى معارضته أهدافه في العراق والمنطقة والعالم. أمّا الغربيون الذين اعترضوا على الغزو في البداية، فما لبثوا أن تكيّفوا مع الموقف الأميركي: ملتحقين أو متواطئين أو صامتين.

خرج الأميركيون منهزمين من العراق (ولاحقاً من أفغانستان). صمّموا على تبديل أساليبهم وليس أهدافهم: «الحروب الناعمة» بدل «الحروب الخشنة». التدخل بالضغوط والحصار والعقوبات والدولار والنفوذ من جهة، وبالتفتيت والإضعاف وإثارة الانقسامات والصراعات، من جهة ثانية. فشلت أيضاً خططهم حيال تهميش روسيا واحتوائها، وخصوصاً أن بوتين تجاوز الكثير من المطبات الأميركية في داخل بلاده وخارجها، وأصبح قادراً على استعادة بعض دورها في العالم، وخصوصاً في الشرق الأوسط، عبر التدخل الفعّال في سوريا بالذات. وهو استفاد من ملابسات وصول الرئيس الأميركي السابق ترامب وأولوياته، لكسب مزيد من الوقت في ترتيب مواقعه وعلاقاته وتحسينها. مع مجيء «الديموقراطيين» إلى السلطة في واشنطن، انطلقت موجة جديدة من الصراع الأميركي الروسي. صعّدت إدارة بايدن من إجراءاتها المعادية لموسكو وخصوصاً في محيطها الحيوي الجغرافي في أوروبا الشرقية. حاولت استكمال حصار روسيا من خلال استفزازها عبر خاصرتها الرخوة أوكرانيا، حيث نجحت واشنطن، على امتداد حوالي ثماني سنوات، في تحويلها إلى عامل استفزاز يومي لجارتها وشقيقتها الكبرى روسيا. كان ذلك ذروة أخطار باتت تُحدق بالأمن الاستراتيجي الروسي، وتهدد قيادة بوتين نفسه: ضم بلدان الكتلة الشرقية الاشتراكية السابقة إلى «الناتو». وعود بتزويد كييف بالسلاح النووي، إطلاق «النازيين الجدد» والعنصريين الأوكران لممارسة تهديدات ومجازر واعتداءات وحصار لمنطقة الدونباس ونقض لاتفاقية «مينسك»... ذلك وسواه شكّل حلقات متلاحقة ومترابطة في جهود أميركية وأطلسية لإحباط خطط بوتين لتحصين بلاده وتعزيز علاقاتها وخصوصاً الأوروبية منها، وأبرزها تصدير الطاقة بكمية مؤثرة جداً في تحديد العلاقات الأوروبية مع الخارج، بالإضافة إلى تحالفها مع الصين. هكذا مهدت واشنطن لتغذية الصراع الروسي الأوكراني في حربها، بالواسطة، ضد منافس استراتيجي على المستوى الدولي ممثّلاً بالعملاقين الروسي والصيني.

تعاطت واشنطن مع الحرب المحتملة بين موسكو وكييف كأنّها تروِّج لها! تولّى الرئيس الأميركي بايدن بنفسه إطلاق المواعيد لبدئها. مؤكداً، بالمقابل، أن بلاده وكل حلف «الناتو» لن يتدخّلا! الهدف «حرب ناعمة» في حلقة جديدة ضد روسيا نفسها، واستخدام الشعب الأوكراني وأمنه ودمه واستقراره على مذبح الأطماع الأميركية في استنزاف روسيا وإسقاط قيادتها. تواصل واشنطن الآن خطتها من خلال السعي لإطالة أمد الحرب عبر حملة إعلامية واقتصادية ضارية ضد روسيا ورئيسها، وتزويد أوكرانيا بالسلاح والمعدات، ومنع القيادة الأوكرانية من التعقّل والتراجع عن الاستفزاز لجارتها الكبيرة.

تحويل الحرب الحالية إلى حرب استنزاف طويلة لروسيا، هو ما تحاوله واشنطن ومعها مسعورو حلف «الناتو». لا تراعي واشنطن مصالح أوكرانيا ولا مصالح الدول الأوروبية التي تحتاج إلى علاقات تعاون، لا إلى عداء مع روسيا التي طالما مدّت اليد لمثل هذا التعاون وبكل النيات الحسنة والشروط الضرورية، وخصوصاً على المستوى الاقتصادي.

هذه الحرب هي حرب مجموعة عنصرية ومهووسة ونازية جديدة أوكرانية. وهي أيضاً حرب متطرّفي «الناتو» الذين توجّههم واشنطن وهم يغامرون بأمن العالم. لكنها أيضاً حرب مصيرية بالنسبة إلى روسيا التي استُفزّت واستُدرجت بثمن دماء الأوكرانيين والروس على حدّ سواء. روسيا هي أكبر دول الأرض مساحةً وثروات وطاقات، ليس من السهل تهميشها، أو حتى تجاهلها، وخصوصاً منعها من أن تكون قوة عظمى في عالم تتغيّر توازناته: من التفرّد، المفروض، والمرفوض، إلى الشراكة والتعدّد!

* كاتب وسياسي لبناني

تقرير

# لا «حلّ سحرياً» للعمليات: إسرائيل تستعدّ لتصعيد مطوّل

**لليوم الثاني على التوالي، استمرّت سلطات الاحتلال في التحشيد لحملة «كاسر الأمواج»، التي أطلقتها ردّاً على العمليات الفدائية الأخيرة. وعلى رغم ضخامة الإمكانات العسكرية والأمنية التي يجري تسخيرها لهذه الحملة، إلّا أنه لا ثقة إسرائيلية بالقدرة على وقف مسلسل العمليات. وما سيرافقه من تصعيد محتمل في الساحات الفلسطينية كافة، بل إن جيش العدو يستعدّ، بحسب التسريبات، لسيناريو تصعيد مطوّل، قد يضطرّ خلاله للانتقال «من الدفاع إلى الهجوم»**

بعد أيّام من تصاعد العمليات الفدائية الفلسطينية، وإطلاق حملة إسرائيلية لمواجهتها، أقرّ وزير جيش الاحتلال، بيني غانتس، بعجز المؤسّستَين الأمنية والعسكرية عن منعها، في وقت اضطرّ فيه رئيس الوزراء، نفتالي بينيت، لقطع مسار تحرّكاته السياسية المتّصلة بالقضايا الإقليمية والدولية الساخنة، للتركيز على الجبهة الفلسطينية. ويأتي ذلك فيما تخشى حكومة العدو من أن يؤدّي استمرار العمليات إلى انتفاضة فلسطينية ومواجهة عسكرية مع قطاع غزة، ستؤدّي بدورها إلى انهيار الائتلاف الحكومي، وعودة بنيامين نتنياهو الذي يتصدّر وحلفاؤه استطلاعات الرأي الأخيرة، بفارق كبير عن الائتلاف الحكومي الحالي.

وفي تعليقه على الانتقادات التي وُجّهت أخيراً إلى الحكومة، على خلفية فشلها في مواجهة العمليات الفدائية، أقرّ غانتس، خلال مقابلة مع «القناة 12» العبرية، بأنه من الصعب إيقاف شخص يقرّر في لحظة ما حمل سكّين أو مفكّ، وتنفيذ عملية طعن، ليقاطعه المقدّم بأن الهجمات الأخيرة استُخدمت فيها الأسلحة الرشّاشة، والتي تحتاج إلى تخطيط وتسلّح مسبقَين، متسائلاً عن فشل «الشاباك» والجيش في إحباطها. وأجاب غانتس هذا السؤال بأن «الدولة تعيش أياماً قاسية وتراجيدية»، وأن «أذرع الأمن تُحبط عشرات العمليات شهرياً»، وأنه «ليس من السهل منح 100% من الأمن»، مشيراً إلى أن «الشاباك يحقّق في كيفية دخول منفّذ عملية بني براك، ضياء حمارشة، بمركبته وسلاحه عبر فتحة في الجدار الفاصل»، مضيفاً أنه «يقوم بجهود مضنية لمنع العمليات القادمة بالتعاون مع شتّى الأذرع الأمنية».

نشر جيش الاحتلال الآلاف من جنوده صباح أمس في مدن الداخل المحتلّ (أ ف ب)

في هذا الوقت، تسود حالة من التشاؤم في أوساط المؤسّسة الأمنية للعدو، في شأن السيناريوات المتوقّعة للتصعيد الميداني في الأراضي الفلسطينية، إذ ذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية أن التقييم الأمني يرتكز على أن الأحداث المحتملة في القدس، هي التي ستُحدّد وجهة الأوضاع، مشيرة إلى أن جيش الاحتلال يستعدّ لاحتمال تصعيد مطوّل، وأن ينتقل من «النشاطات الدفاعية إلى الهجومية»، والضغط على المجموعات التابعة لفصائل المقاومة في الضفة. ونقلت الصحيفة عن مصادر أمنية إسرائيلية أنه بسبب خصائص الهجمات الأخيرة التي لا تُظهر وجود بنية تحتية تنظيمية واتّصالات تشغيلية خلفها، فإنه «ليس من الممكن حقاً تقييم متى ستنتهي هذه الموجة، التي قد تمتدّ لأسابيع أو أشهر».

> **تسود حالة من التشاؤم في أوساط المؤسّسة الأمنية للعدو في شأن السيناريوات المتوقّعة**

ميدانياً، نشر جيش الاحتلال الآلاف من جنوده صباح أمس في مدن الداخل المحتل، مع التركيز على مدينة القدس وبلدتها القديمة، حيث تُوزّع قرابة 3 آلاف شرطي، فيما تمركز المئات من الجنود في المحاور الرئيسة من المدينة. كذلك، تمّ نشر 1300 جندي من شتّى الوحدات العسكرية - من بينها وحدات خاصة من مِثل «سييرت متكال» و«شاييطت 13» - في مدن الداخل المحتلّ عام 1948، سعياً لإرجاع الشعور بالأمن إلى الإسرائيليين، في ظلّ ارتفاع مستويات الهلع في أوساطهم. بالتوازي مع ذلك، قيّدت شرطة الاحتلال، أمس، الدخول إلى المسجد الأقصى، حيث سمحت للرجال ممَّن هم فوق سن الـ60 عاماً وللنساء بالدخول من دون قيود، فيما الرجال المُراوحة أعمارهم بين 45 عاماً و60 عاماً سُمحت بالدخول لِمَن يملكون تصاريح خاصّة منهم.

على خطّ موازٍ، وقّع غانتس على أمر استثنائي - سارٍ لمدّة شهر واحد - لاستدعاء 300 جندي من قوّة «حرس الحدود»، بناءً على طلب الشرطة، بهدف تعزيز القوّات المنتشرة على الأرض في إطار عملية «كاسر الأمواج». وكانت «القناة 12» العبرية ذكرت أن بينيت، ووزير الأمن الداخلي عومير بارليف، ومدير الشرطة كوبي شبتاي، اتفقوا على تمويل إضافي للشرطة بمبلغ 181 مليون شيكل، سيتمّ تحويل 111 مليوناً منها حالياً، و70 أخرى بحلول شهر آب. وستُستخدم الميزانية الجديدة لإنشاء «لواء حرس حدود» جديد يعمل كقوّة احتياط، وتجنيد 200 جندي بشكل دائم، وشراء 6500 سترة واقية، و4 آلاف خوذة، و40 دراجة نارية، وتجهيز 10 سرايا حدودية. وفي الإطار نفسه، كشفت صحيفة «هآرتس»، أمس، أن جهاز «الشاباك» يسعى للحصول على صلاحيات قانونية طارئة، بهدف توسيع عملياته ضدّ فلسطينيّي الداخل الذين يحملون الهوية الزرقاء.

(الأخبار)

# يوم الأرض بنكهة مختلفة: رهان تدجين الفلسطينيين يتبدّد

**على مدار أسبوع كامل، أحيت الفصائل الفلسطينية والمؤسّسات الحكومية والأهلية في قطاع غزة، ذكرى «يوم الأرض»، التي اكتسبت هذا العام خصوصية أكبر، في ظلّ دخول فلسطينيّي الداخل المحتلّ على خطّ المواجهة، عبر عمليات فردية تخشى إسرائيل من تمدّدها، بقدْر ما تعتبرها المقاومة نتاجات يمكن البناء عليها في المرحلة المقبلة**

غزة ـ يوسف فارس

على نحو تجاوُز البروتوكول السنوي، ركّزت الفصائل الفلسطينية في قطاع غزة جهودها في زيادة الزخم الرمزي والشعبي لذكرى «يوم الأرض»، بعدما كانت أعلنت تدشين لجنة جديدة لدعم صمود فلسطينيّي الداخل المحتلّ. وبدأت الفعاليات الجماهيرية بمهرجان خطابي عقدته اللجنة، مطلع الأسبوع الماضي، في مخيم العودة في منطقة ملكة شرق مدينة غزة، حضّره قادة فصائل المقاومة واللجان العشائرية والأهلية، إلى جانب المئات من المواطنين. وفي يوم الأحد، نظّم «اتّحاد قبائل البادية»، وسط القطاع، مهرجاناً تراثياً بعنوان: «وحدتنا بقوّتنا»، عُرضت فيه مظاهر الحياة البدوية وأمّته كافة القبائل والعشائر، ليبدو أشبه بتظاهرة إعلامية عشائرية لمساندة فلسطينيّي النقب، الذين تربطهم ببدْو غزة علاقات اجتماعية وأواصر عشائرية عريقة، تزامناً مع ما يواجهه سكّان النقب من مخطّط استيطاني يهدف إلى مصادرة 800 ألف دونم من أراضيهم، التي تمثّل أكبر جغرافيا يمتلكها فلسطينيّو الداخل، بمساحة تتجاوز المليون دونم. كما أحيت المؤسّسات التعليمية في غزة، الذكرى، من خلال برامج إذاعية صباحية تضمّنت فقرات فنّية وخطابية، فيما خُصّصت الحصّة الأولى للاحتفاء بالمناسبة، عبر شرح الخصوصية الكبيرة التي يحظى بها فلسطينيّو الداخل، والتوعية بمخطّطات الاحتلال الرامية إلى أشرلتهم، بهدف الحدّ من دورهم النضالي.

كذلك، نظّمت فصائل العمل الوطني مهرجاناً حاشداً عصر يوم الخميس، على أرض ميناء غزة. وأكد محسن أبو رمضان، وهو مسؤول «لجنة دعم شعبنا في الداخل المحتلّ»، أن رسالة الفعاليات الشعبية والأهلية هي أن محاولات عزل القطاع، وإشغاله بهمومه المعيشية، لن تنجح، وأن غزة ستشكّل «ظهيراً مسانداً لشعبنا في الداخل المحتلّ، على طريق تفكيك منظومة الاستيطان والفصل العنصري». بدوره، قال الناطق باسم حركة «حماس»، فوزي برهوم، إن رسالة المقاومة في القطاع هي أنها موحّدة «إلى جانب أهلنا في النقب وأم الفحم والمثلث والقدس، على طريق انتزاع الحقوق الفلسطينية بتحرير الأرض من البحر إلى النهر».

## نقطة فارقة

ويرى مراقبون أنّ معركة «سيف القدس»، التي رافقتها هَبّة عارمة في مدن الداخل المحتلّ تضامناً مع المقاومة في غزة، ورفضاً لمحاولات تهويد المسجد الأقصى وتغيير الوقائع الديموغرافية في البلدة القديمة في القدس، شكّلت نقطة فارقة في تاريخ الصراع؛ إذ أثبتت أن كلّ محاولات الاحتلال وسياساته الرامية إلى تدجين الفلسطينيين لم تنجح. كما شكّلت المواجهات التي قضى فيها عدد من الشهداء، لبنة يمكن البناء عليها في توسيع حالة الاشتباك، إلى حيّز مكاني يقع في عمق كيان الاحتلال. وفي هذا الإطار، يشير المحلّل السياسي، أيمن الرفاتي، في حديثه إلى «الأخبار»، إلى أن «معركة سيف القدس لفتت الانتباه إلى قدر الثقل والزخم الذي يمكن أن يشكّله فلسطينيّو الداخل في أيّ مواجهة مقبلة مع الاحتلال، ما دفع الفصائل الفلسطينية إلى القيام بدور أكثر وضوحاً وفعالية، في زيادة اللُّحمة الشعبية بين سكّان غزة والضفة والداخل، الأمر الذي سيعزّز من حضور فلسطينيّي الداخل لدى الأجيال الصاعدة، بعد سنوات من التهميش والغياب». ويُعتبر الرفاتي أن «الاحتلال الذي كان يعتقد أن استقطابه لبعض النخب السياسية التي تأشرلت سياسياً وانسلخت عن هويّتها التاريخية والوطنية، يمكن أن يُغيّب الحسّ الوطني في جماهير الداخل، أثبت عقمه، ومحدودية تقديره».

من جهته، يرى المختصّ في الشأن الإسرائيلي، إسماعيل محمد، أن «العملية الخطيرة البطولية التي نفّذها الشهيدان إغبارية، والتي حاول الاحتلال تشويه منفّذَيها بوصمهما بالانتماء إلى داعش، تؤكّد أن مفاعيل سيف القدس لا زالت حاضرة، وأنّ الرهان الشعبي والفصائلي على جبهة الداخل لن يخيب». ويشير محمد إلى أن «الاحتلال بدأ يعدّ سيناريوات أمنية جديدة، يُشير إليها إعلانه عن عملية كاسر الأمواج التي تستهدف مواجهة الخطر الأمني في الضفة والداخل، غير أنّ هذه الجبهة غير تقليدية مثل غزة والضفة ولبنان وسوريا، إذ إن الخطر اليوم من داخله، وقد يبدأ تخطيطاً وتنفيذاً في داخل شاب عشريني قرّر في لحظة أن يترك توقيعه على خريطة المخطّطات الإسرائيلية التي تستهدف تاريخه وهويّة أجداده».

تقرير

# مشاورات الرياض بِلا هادي: السعودية تُبدّل حرسها القديم

صنعاء ـ رشيد الحداد

أكّدت مشاورات الرياض، التي انطلقت الأربعاء الماضي، وجود أزمة ثقة بين السعودية وحكومة الرئيس المنتهية ولايته، عبد ربه منصور هادي، إذ إن المملكة، التي حشدت أكثر من 500 مشارك ومشاركة من الموالين لها لعقد مشاورات تغيب عنها الأطراف الفاعلة، استثنَت من الدعوة هادي، ونائبه علي محسن الأحمر، المتواجدَين في الرياض. كما استبعدت كلّ القيادات العسكرية أو القبَلية أو السياسية التي كانت انتقدت سياسة التحالف السعودي - الإماراتي في اليمن خلال السنوات الماضية، واكتفت بالقيادات «المُخلصة» والأشدّ ولاءً لها، كرئيس مجلس النواب سلطان البركاني، ورئيس مجلس الشورى أحمد عبيد بن دغر، وعدد من أعضاء المجلسَين. وفي مقابل تدنّي تمثيل حزب «الإصلاح» (إخوان مسلمون)، حرصت الرياض على تعزيز حضور حزب «المؤتمر الشعبي العام»، عبر دعوة عدد كبير من قياداته التي لا تعترف بحكومة هادي، كالعميد طارق صالح (نجل شقيق الرئيس السابق علي عبدالله صالح)، إلى جانب رئيس «المجلس الانتقالي الجنوبي» الموالي للإمارات، عيدروس الزبيدي، وآخرين، في إشارة واضحة إلى رغبة المملكة في تغيير خارطة تحالفاتها في اليمن، على حساب الحرس القديم من أعضاء «اللجنة الخاصة»، من قيادات عسكرية ومدنية وزعماء، موروثين من أيّام وزير الدفاع السعودي السابق، سلطان بن عبد العزيز.

وقبيل انطلاق المشاورات، كثّف مسؤولون سعوديون وخليجيون لقاءاتهم بقيادات في «الشرعية»، بعيداً من هادي ونائبه، في ما قد يدلّ على وجود تَوجّه لعزل الرئيس المنتهية ولايته رسمياً، إذ التقى السفير السعودي لدى اليمن، محمد آل جابر، البركاني وبن دغر، وناقش معهما الترتيبات الجارية لمفاوضات الحلّ الشامل. وبالمثل، اكتفى الأمين العام لـ«مجلس التعاون الخليجي»، نائف الحجرف، بلقاء الرجلَين. وكان هادي ونائبه عقدا اجتماعاً برئيس حكومة «الشرعية» ومسؤولين آخرين، المحا خلاله إلى رفض مشاورات الرياض، وأكدا التمسّك بـ«المرجعيات الثلاث» التي يستمدّ هادي منها «شرعيته». ولَم يتّضح بعد ما إذا كانت السعودية تحاول الضغط على هادي أم التمهيد للإطاحة به، لكنّ تزامن تلك المؤشّرات مع كشْف مصادر حكومية رفض آل جابر قائمة أسماء تقدّم بها مكتب الرئيس المنتهية ولايته لاعتمادها في المؤتمر، يرجّح احتمالية طيّ صفحة الرئيس المستقيل.

اللافت، أيضاً، أن قرابة 85% من المشاركين هم من أصدقاء آل جابر، وقد تمّ اختيارهم بناءً على معايير مهلهلة مِن مِثل عدد المتابعين في صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما يفسّر دعوة ممثّلين وناشطين في «كلوب هاوس»، و«فيس بوك»، و«تويتر»، و«يوتيوب»، بالإضافة إلى كلّ الصحافيين والكتّاب الذين يعملون تحت إشراف السفير السعودي، والمتحدّث الرسمي باسم «التحالف» تركي المالكي. وأثارت نوعيّة المشاركين هذه، إلى جانب عددهم الكبير، وغياب الأطراف الوازنة، سخرية الكثير من اليمنيين في الداخل والخارج، ومن مختلف الأطراف، الذين اعتبروا أن السعودية تحاول، من خلال هذا المؤتمر، ترميم صورتها. أمّا في المضمون، فقد أكد بعض المشاركين أنهم تلقّوا دعوات وتذاكر سفر، من دون أن يعلموا بأجندة المشاورات، فيما أعلن الكاتب السياسي الجنوبي، صلاح السقلدي، انسحابه في اليوم الأول، مُرجعاً ذلك إلى «تغييب القضية الجنوبية تماماً»، على رغم زَعْم «التعاون الخليجي» أنها موجودة على جدول الأعمال، وستتمّ مناقشتها.

ومع أن الأجندة المعلَنة للمشاورات التي ستمتدّ على مدار سبعة أيام، تركّزت حول عناوين عريضة وعامّة مرتبطة بالقضايا السياسية والاقتصادية والإغاثية والإعلامية، من دون التطرّق إلى الخلافات المستمرّة في أوساط القوى الموالية لـ«التحالف»، إلا أن ثمّة قناعة في أوساط اليمنيين بأن المشاورات تستهدف إعادة تنظيم صفوف تلك القوى، وربّما تسليم الجبهات لقيادات بديلة يُتوقّع أن تكون من الموالين للإمارات، والاستعداد لمرحلة جديدة من التصعيد، وهو ما أكده ابن دغر نفسه.

## استراحة

### كلمات متقاطعة 3997

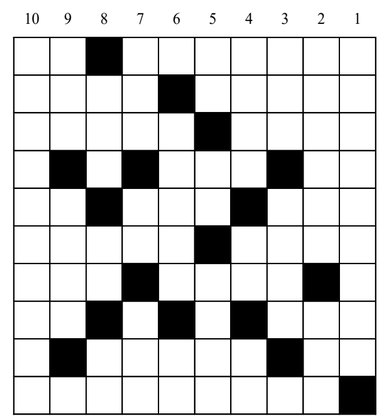

**أفقيا**

1- طائرات إنتحارية إستخدمها اليابانيون خلال الحرب العالمية الثانية – مزّق الثوب وقطعَه – 2- من الألوان – صانع الخبز – 3- مدينة سورية – ملك الهون – 4- إسم موصول – نقر البئر – 5- أحرَك السرير – فلوس – طعم الحنظل – 6- نهر فرنسي – من الأحجار الكريمة – 7- فرعون مصري – ما أعدّ من الشجر وقوداً للنار – 8- تُقال على الهاتف – سقي النبات – 9- مادة قاتلة – الإسم الأول لرسام إسباني راحل – 10- المحاباة في الوظائف

**عمودياً**

1- أغنية للفنان جورج وسوف – 2- إحدى الولايات المتحدة الأميركية – حرف جزم – 3- ضجر وسأم – مدينة عراقية – 4- يوقف الحصان عن الجري – خصب – أغلظ أوتار العود – 5- حرف نصب – ثغر – نجاح – 6- ربّة الشعر الغنائي عند اليونانيين – من الحيوانات – 7- مادة سوداء – للتمنّي – مهر بلغ السنّة – 8- مدينة فرنسية – خشن صوته – تهيّأ للحملة في الحرب – 9- رفع وحمل – يوم شاتٍ – 10- من المواقع الأثرية في الحازمية

### حلول الشبكة السابقة

**أفقيا**

1- كويزون سيتي – 2- لاتفيا – جرو – 3- فاليتا – 4- فا – رهيف – 5- آلب – تدمر – 6- ليس – اس – فل – 7- لسّ – رير – كوخ – 8- هلموت كول – 9- سلام – جبيل – 10- خليل مطران

**عمودياً**

1- كلس – الله – 2- وا – المسلسل – 3- بتفّ – بي – مليّ – 4- زُفاف – سروال – 5- ويلات – يتممّ – 6- ناي – دارك – 7- ترمس – وجر – 8- يجاهر – كلبا – 9- تر – فو – ين – 10- يوسف الخال

### sudoku 3997

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 4 | | | 1 | | 6 | | 2 | |
| | 2 | | | | | 9 | 8 | 1 |
| 8 | | | | 9 | | | | 4 |
| 3 | | | 5 | | | 2 | | |
| | 6 | | | 4 | 9 | | 1 | 7 |
| 9 | | 7 | 6 | | | | 5 | |
| | 9 | | | 6 | | 7 | | |
| | | 6 | | | | | | 5 |
| 2 | | | 3 | | 8 | | 6 | |

### شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

### حل الشبكة 3996

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | 2 | 8 | 3 | 5 | 4 | 7 | 9 | 6 |
| 3 | 7 | 5 | 9 | 6 | 1 | 2 | 8 | 4 |
| 9 | 6 | 4 | 8 | 2 | 7 | 1 | 3 | 5 |
| 7 | 8 | 3 | 5 | 1 | 2 | 6 | 4 | 9 |
| 4 | 1 | 9 | 7 | 8 | 6 | 5 | 2 | 3 |
| 6 | 5 | 2 | 4 | 3 | 9 | 8 | 1 | 7 |
| 8 | 9 | 6 | 2 | 4 | 5 | 3 | 7 | 1 |
| 2 | 4 | 1 | 6 | 7 | 3 | 9 | 5 | 8 |
| 5 | 3 | 7 | 1 | 9 | 8 | 4 | 6 | 2 |

### مشاهير 3997

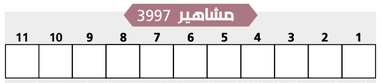

شاعر فرنسي (1818-1894) ولد في جزيرة ريونيون في المحيط الهندي التابعة لفرنسا. أراد والده أن يجعل منه قاضياً لكنه أثر التفرّغ للشعر في أحضان الطبيعة

5+4+1+2+3 = عمود بالأجنبية ■ 9+10+7+8 = جزيرة إيطالية ■ 6+11 = مرتفع من الأرض

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: سحر الرملاوي

على الغلاف

# نهاية «نهاية التاريخ» الفوضى العالمية فرصتنا الأنسب

وليد شرارة

موقف غالبية بلدان الجنوب، وبينهم حلفاء تاريخيون للولايات المتحدة، من النزاع الدائر في أوكرانيا، ورفضهم إدانة روسيا وفرض عقوبات عليها، مؤشّر قوي جديد إلى التراجع المستمرّ والمتسارع للهيمنة الأميركية. مَن كان يتصوّر، حتى بضع سنوات خلت، أن السعودية مثلاً، التي سارت خلف واشنطن طوال عقود الحرب الباردة وبعدها، واندرجت في استراتيجيتها العامّة ليس في الشرق الأوسط وحده، بل في أميركا اللاتينية وأفريقيا أيضاً، سترفض الانحياز إليها في مواجهتها الحيوية الراهنة مع موسكو؟ أمّا الهند، التي تحوّلت منذ مطلع الألفية الثانية إلى حليف رئيس، بنظر الاستراتيجيين الأميركيين، في مقابل الصين، وشريك بارز في «كواد»، فإن موقفها من النزاع في أوكرانيا، وقرارها مضاعفة وارداتها من النفط الروسي بأربع مرّات، والدفع بالروبل وليس بالدولار، ولّد صدمة جديدة لهؤلاء الخبراء الاستراتيجيين. المقاربة التركية للنزاع في أوكرانيا، وإن كانت مختلفة عن تلك المذكورة، تتمايز بوضوح عن نظيرتها الأميركية: هي أمدّت كييف بالسلاح، خاصة بمسيّرات «بيرقدار»، لكنها رفضت فرض عقوبات على موسكو، وتلعب دوراً نشيطاً في الوساطة بين الطرفَين.

> الفراغ الناجم عن تراجع الهيمنة الأميركية، وعدم وجود قوى مرشّحة للحلول مكانها، ستعمل القوى الإقليمية على تعبئته

هذا بالنسبة لحلفاء واشنطن، أمّا خصومها، فإن مواقفهم تتراوح بين الدعم العلني أو الضمني لروسيا، لكلّ دولة من دول الجنوب دوافع خاصة تفسّر تموضعها خارج المعسكر الذي تقوده الولايات المتحدة في مجابهتها المحتدمة مع منافسيها الاستراتيجيين في روسيا والصين، وفي تنمية شراكات متعدّدة الأبعاد معهما، غير أن المحصّلة النهائية لمثل هذه التموضعات والشراكات، تشكّل منعطفاً حاسماً في مسار العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فعجز الإمبراطورية المنحدرة عن ضبط الحلفاء، ناهيك عن التصدّي الناجح للأعداء، يشي بتفكّك منظومة السيطرة الغربية على المعمورة، وبداية مرحلة طويلة من الصراعات الدولية والإقليمية في بقاع مختلفة منها، ستحدّد مآلاتها شكل النظام الدولي الذي سيعاد بناؤه. ولا شك في أن الصراع بين الدول الكبرى ليس صنواً للفوضى بالضرورة. ففي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، انقسم العالم إلى معسكرَين، ضمّ كلّ منهما مجموعة من الدول والأحزاب والتنظيمات ذات الخلفيات الأيديولوجية والسياسية المتعدّدة، ما أدى إلى نشوء نظام القطبية الثنائية. كانت للقطبَين الرئيسيَّين، أي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، قدرة تأثير وضبط تختلف درجاتها مع أطراف معسكرَيهما، التي تمتّع بعضها بهامش استقلالية نسبية. غير أن مَن يستعرض الحروب والنزاعات التي دارت في تلك المرحلة، سيجد أن كلاً من القطبَين امتلك إمكانية التدخّل في مسارها، و«إقناع» حليفه المحلي أو الإقليمي بالتصعيد أو بتخفيض حدّة الصراع في فترات معيّنة، وبـ«اقتراح» حلول لهذه الصراعات، تنسجم مع الأجندة الدولية للقطب المعنيّ. فالاتحاد السوفياتي الذي دعم الدول العربية والمقاومة الفلسطينية في صراعها مع الكيان الصهيوني، ساهم في إقناعها بأن يكون هدفها النهائي هو التسوية السلمية على قاعدة القرارات الدولية، وإن لم تكن هذه المساهمة هي العامل الوحيد الذي يفسّر قبول الأطراف الرسمية العربية والفلسطينية بهذا السقف السياسي. الأمر نفسه ينسحب، وإن بأشكال ودرجات مختلفة، على حروب ونزاعات وقعت آنذاك، وسعى كلّ من القطبَين إلى توظيفها في إطار استراتيجيته العامة، أو ضبطها لمنع اتّساعها واستعارها.

(أ ف ب)

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، حاولت الولايات المتحدة فرض نظام الآحادية القطبية، وشنّت لهذه الغاية حروباً عدوانية مدمرة، غير أنه بات من الواضح أنها فشلت في ذلك تماماً. ما نشهده اليوم هو مجابهة بين معسكر أطلسي بقيادة الولايات المتحدة، ومحور روسي - صيني أصبحت أوكرانيا إحدى ساحاته. لكن بقيّة العالم، أي بلدان الجنوب، وبينها قوى إقليمية وازنة، اختارت «عدم الانحياز» إلى أيّ من الطرفين. أصبح «عدم الانحياز»، ولو الظرفي، بالنسبة لهذه البلدان، أسهل ممّا كان عليه في فترة تشكّل المنظّمة التي تحمل هذا الاسم، والتي تعرّض أعضاؤها لضغوط هائلة، من قِبَل الولايات المتحدة أساساً، لحملهم على الانحياز أو إسقاط أنظمتهم الوطنية. وعلى رغم احتفاظ عدد من بلدان الجنوب بتحالفاتها الدولية، فإن هامش استقلاليتها قد اتّسع، وأضحت تعطي الأولوية لأجندتها الخاصة، حتى ولو لم تتقاطع مع أجندة الحليف الدولي. يقول فرانسيس فوكوياما، في مقابلة مع «ذي نيو ستايتسمان»، بأننا «ربّما نرى نهاية نهاية التاريخ». الفراغ الناجم عن تراجع الهيمنة الأميركية، وعدم وجود قوى دولية مرشّحة حالياً للحلول في مكانها، في منطقتنا وفي مناطق أخرى، ستعمل القوى الإقليمية على تعبئته من خلال النزاع في ما بينها أو التوصّل إلى تفاهمات وترتيبات.

### أولوية فلسطين

منذ أن أدرك الحلفاء الإقليميون للولايات المتحدة قرارها «التخفّف من أعباء الشرق الأوسط»، وهو توجّه سيتعزّز في سياستها الخارجية في سياق حربها بالوكالة مع روسيا في أوكرانيا، وهم يعملون على بناء تحالف «عربي» - صهيوني في مواجهة قوى المقاومة في الإقليم، وفي القلب منها إيران. هذه هي الغاية الحقيقية لـ«اتفاقية أبراهام»، ولقمم شرم الشيخ والنقب. غير أن الإمارات، وهي الطرف الرئيس الذي اشترك في صياغة هذا المشروع أيام إدارة دونالد ترامب، شرعت من جهة أخرى في السعي لتطبيع علاقاتها مع إيران، وتطوير المصالح المشتركة معها. السعودية لم تشارك حتى الآن رسمياً في التحالف المذكور، لكن وجود البحرين ثمّ بعد ضوء أخضر منها. إلّا أن ولي عهدها دعا بدوره إلى إقامة علاقات حسن جوار مع إيران.

تعلم جميع أطراف هذا التحالف هشاشته، وفي مقدّمتها الكيان الصهيوني. وتعلم قوى المقاومة ذلك، وفي طليعتها الشعب الفلسطيني، تغيُّر أولويات القوى الغربية، وانشغالها بمواجهات استراتيجية كبرى مع روسيا والصين ستزداد حدّة في المدى المنظور، وتستتبع تراجع أولوية صراعات المنطقة على أجندتها. هذا ما يثير ذعر قادة الكيان، وما يفسّر التقاط أبناء الشعب الفلسطيني وتنظيماته المقاومة لهذه الفرصة وتصعيد العمل المقاوم. انفجار انتفاضة شعبية عارمة ضدّ الاحتلال مدعومة بالنار، نار البنادق والصواريخ، سيفرض التراجع على العدو، وسيقلب الطاولة على مشاريع التحالفات الخيانية. الفوضى العالمية الراهنة هي السياق الأنسب لفرض أولوية فلسطين على جدول أعمال الجميع، عبر جولة جديدة من المجابهة تبني على ما حقّقته معركة «سيف القدس» المجيدة.

---

مساعدة هندية لموسكو تسْخط واشنطن

# روسيا ـ أوكرانيا: تذبذب المفاوضات

موسكو ـ الأخبار
واحمد الحاج علي

تتفاوت، من يوم إلى يوم، التقديرات بشأن مصير المفاوضات الروسية - الأوكرانية، والتي استؤنفت أمس في ظلّ سقف كلامي مرتفع من كلا طرفيها. لكن الثابت إلى الآن، أن ثمّة تفاؤلاً روسياً بأن المفاوضات تُحرز تقدّماً، بمعزل عن ماهيته أو حجمه، وهو ما لم تغيّر فيه - للمفارقة - حادثة اختراف مروحيتَين أوكرانيتَين الأجواء الروسية، وقصفها مخازن وقود. وفي انتظار ما ستؤول إليه الجولة التفاوضية الجديدة، تُواصل موسكو، ميدانياً، التحشيد لحسم معركة دونباس، فيما تستمرّ في عملية دبلوماسية مماثلة بهدف إنفاذ قرارها تعزيز التعامل بالروبل مع الدول الصديقة وغير الصديقة على السواء، وهو ما بدأ يؤتي ثماره بالفعل، مثيراً سخطاً وقلقاً أميركيَّين.

استؤنفت المفاوضات بين روسيا وأوكرانيا، أمس، عبر تقنية الفيديو، في ظلّ تشبّث كلّ طرف بمطالبه السياسية والأمنية. فبعد تأكيد كييف أنها «ستقاتل بشأن كلّ حبة تراب في البلاد»، في ما فُسّر على أنه إشارة إلى شبه جزيرة القرم ودونباس، أكد رئيس الوفد الروسي المفاوض، فلاديمير ميدينسكي، أن مواقف روسيا «بشأن القرم ودونباس لا تزال ثابتة». وعلى رغم هذا التباين، قال وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، من نيودلهي، إن المفاوضات تحرز تقدّماً، وبخاصة بشأن مسألتي القرم ودونباس، وتخلّي كييف عن فكرة الانضمام إلى حلف «الناتو»، ووضعها غير النووي والحيادي. وفيما لفت لافروف إلى أنه ليست هناك أيّ خطط نهائية، ما يعني أن أيّ اتفاق لم يُنجز حتى الساعة، شدّد على أنه يجب أوّلاً إتمام صياغة الاتفاقات المبدئية التي جرى التوصّل إليها في الجولة الأخيرة من مفاوضات إسطنبول.

مسار المفاوضات كان مدار بحث في اتصال هاتفي بين الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، ونظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون، حيث جدّد زيلينسكي التشديد على ضرورة حصول بلاده على ضمانات أمنية في أيّ اتفاق، فيما أعلن وزير الخارجية الأوكراني، دميتري كوليبا، أن بلاده تنتظر الردّ الروسي الرسمي على مقترحاتها، قائلاً إنه «لا توجد أيّ قوى أجنبية تضغط علينا في ما يتعلّق بالمفاوضات». بدوره، كشف الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، أن بلاده تسعى لاستضافة اجتماع يضمّ الرئيسَين الروسي والأوكراني، معلناً أن أنقرة تحاول «الوصول إلى نتيجة بشأن لوغانسك ودونباس من خلال التواصل مع الرئيسَين بوتين وزيلينسكي».

ميدانياً، يرى الخبراء العسكريون الروس أن ثمّة تغييرات جوهرية في المخطّط الأوّلي للعملية العسكرية في أوكرانيا، تتمثّل في تركيز الجهود على الاتجاهات الجنوبية، فيما يُطرح سؤال حول الخطّ الذي تنوي القوات الروسية بناء دفاعاتها عنده، لضمان حسم معركة الدونباس. وفيما تراجع الاهتمام بمعركتَي كييف وتشيرنيغوف، يلاحظ الخبراء تحرّكاً كثيفاً للآليات والمعدّات العسكرية الروسية باتجاه الحدود مع بيلاروسيا، وعودتها لعبور الحدود الأوكرانية باتجاه الجنوب، حيث المسرح الأساسي للمواجهات المقبلة. وفي منطقة سومي، يسجّل تراجع الطرفَين، الروسي والأوكراني، إلى مواقعهما الحدودية الدولية، في حين لا يزال المشهد في منطقة إيزيوم على حاله. أمّا في محيط محور غورلوفكا - كونونادا، فتستمرّ قوات دونيتسك الشعبية في قضم دفاعات القوات الأوكرانية، ببطء ولكن بثبات، بينما تتواصل المعارك في محيط نوفوسيولوفكا، التي من دون السيطرة عليها سيكون من الصعب تقدّم القوات الروسية في هذا الاتجاه الجنوبي.

وفي محاور مدينة ماريوبول المحاصرة، يجري تضييق الخناق على القوات الأوكرانية، التي لم تَعُد تسيطر سوى على 10% من مساحة المدينة، في وقت تستمرّ القوات الروسية في تصعيد ضغوطها في محيط خيرسون، حيث تدفع خطّ الجبهة شمالاً باتجاه نيقولايف، بشكل متدرّج ومستمرّ، وهي بدأت بالفعل، بعدما سيطرت على جميع النقاط السكنية والبلدات المحاذية لضواحي خيرسون، بالتعامل مع ضواحي نيقولايف. وبحسب الاستخبارات البريطانية، فإن الحشود الروسية في هذا الاتجاه، تضاعفت ثلاث مرات خلال الأسبوع الماضي، ما يؤشّر إلى نيّتها القيام بعمل كبير هناك.

(أ ف ب)

في غضون ذلك، نفّذت مروحيتان أوكرانيتان عملية تسلّل على ارتفاعات منخفضة، واستهدفتا مستودعات للمشتقات النفطية في مدينة بيلغورود الروسية، ما أدى إلى اشتعال النيران في 8 خزانات وقود، بالقرب من خاركوف الأوكرانية. ويرجع خبراء نجاح المروحيتَين في تنفيذ هذه العملية، إلى طبيعة التضاريس الجغرافية الجبلية المساعدة في عملية التخفّي عن الرادارات وأجهزة الرصد الروسية. كما أنه نظراً لكثافة الطيران المروحي الروسي في تلك المناطق، من الممكن أن تكون نقاط المراقبة الروسية قد أخطأت في تشخيص هويّة المروحيتَين واعتبرتهما روسيتَين، علماً أن تلافي هذه الخروقات الجوّية ممكن فقط باستخدام محطّة رصد رادارية طائرة أو تسيير دوريات مستمرّة للمقاتلات الروسية الاعتراضية، الأمر الذي لم يكن يُعمل به من قبل. وعلّق المتحدّث باسم الكرملين، دميتري بيسكوف، على الحادثة، بأنه يتعيّن على الهيئات الأمنية والعسكرية تقييمها، مستبعداً أن يكون ما حصل خطوة هادفة لخلق ظروف مناسبة لاستمرار المفاوضات مع الجانب الأوكراني.

على صعيد آخر، دخل، أمس، رسمياً، حيّز التنفيذ، المرسوم المتعلّق بشأن تسديد ثمن الغاز الروسي لـ«الدول غير الصديقة» بالروبل. وقال المتحدث باسم الكرملين، دميتري بيسكوف، إن «الروبل هو الخيار الأفضل والأكثر موثوقية بالنسبة لنا»، مستدركاً بأن القرار الأخير «من الممكن إلغاؤه إذا ما توافرت ظروف أخرى». لكن، إلى الآن، يبدو أن روسيا تتّجه، بالفعل، إلى تعزيز التعامل بالروبل والعملات المحلية مع العديد من الدول، ردّاً منها على العقوبات الغربية التي منعتها من الوصول إلى احتياطاتها في البنوك الأجنبية. ومن الهند، التي عزّزت روسيا العلاقات الاقتصادية معها أخيراً وخصوصاً في مجال الطاقة، أكد لافروف، خلال لقائه نظيره الهندي س. جيشنكار، أن بلاده تسعى لتعزيز العلاقة مع الأسواق الآسيوية لتقليل استخدام الدولار وتخطّي العقوبات التي وصفها بـ«غير الشرعية».

هذا التقارب الروسي الهندي كان محطّ استهداف من قِبَل الولايات المتحدة، التي تحاول الضغط على الدول التي لم تطبّق العقوبات الغربية المفروضة على روسيا. وقبيل المحادثات التي أجراها لافروف في الهند، قام المسؤول الأميركي من أصل هندي، داليب سينغ، وهو كبير مخطّطي العقوبات في واشنطن، بزيارة إلى نيودلهي حذّر فيها من مغبّة مساعدة موسكو على تجاوز العقوبات. وقال سينغ إن بلاده تحرص على «ألّا تقوم الدول كافة، وخصوصاً حلفاءنا وشركاءنا، بوضع آلية تعزّز الروبل وتسعى لتقويض النظام المالي القائم على الدولار».

خيار عزل روسيا عبر العقوبات كان أيضاً مدار بحث في القمّة الأوروبية - الصينية التي انعقدت أمس في جوّ شديد التوتر، بحسب ما كشفت رئيسة المفوضية الأوروبية، أورسولا فون دير لاين. ولفتت دير لاين إلى أن الاتحاد الأوروبي دعا بكين «إلى عدم التدخّل» لمساعدة روسيا على مواجهة تداعيات العقوبات الغربية، مشيرة إلى أن الاتحاد حذر من أن أيّ دعم لموسكو «سيشوّه سمعة» الصين في أوروبا. من جهته، قال رئيس المجلس الأوروبي، شارل ميشيل، إن الدول الأوروبية دعت الصين إلى المساعدة في إنهاء الحرب في أوكرانيا، مضيفاً أن الاتحاد الأوروبي سيظلّ يقظاً تجاه أيّ محاولة لمساعدة روسيا. في المقابل، أكدت وزارة الخارجية الصينية أن بكين «تعارض الحروب البادرة والساخنة والانقسامات وترفض الانحياز» إلى أيّ طرف. وأعلنت أن المسؤولين الصينيين والأوروبيين «اتفقوا على العمل معاً لحفظ السلام والاستقرار والازدهار على مستوى العالم»، و«من أجل إقامة حوار حول أمن الطاقة والغذاء».

---



إضاءة

# نسخة جديدة من «ماغنيتسكي»: الكِذبة الأميركية تتوالد

رنَد وهبة

بعد أسبوع من المفاوضات والجدل حول قانون العقوبات التجارية ضدّ روسيا (ماغنيتسكي)، عُقدت، ليل الأربعاء - الخميس، صفقةٌ ما في أروقة الكونغرس، وافق على إثرها السيناتور راند باول على تمرير القانون. وبحسب باول، فإنّ الصيغة الأصلية عامّة جداً، ولم توضح ما تعنيه انتهاكات حقوق الإنسان بالضبط، وهو ما تمّ إصلاحه بتحويل الصياغة من «انتهاكات فادحة» إلى «انتهاكات جادّة». وكان قانون العقوبات الجديد محطّ جدل منذ تمريره في مجلس النواب، حيث صوّت النائب الجمهوري، توماس ماسي، إلى جانب سبعة نوّاب جمهوريّين، حينها، ضدّه، مُعلّلاً ذلك في تغريدة على «تويتر»، بأنّ المشروع يسمح بإعطاء الرئيس الأميركي صلاحيات استثنائية لاستخدام «ماغنيتسكي» ومعاقبة أيّ شخص في أيّ مكان في العالم، الأمر الذي لا يبدو أنه تُغيّر بعد التعديل. إذ إنّ كلّ ما سيحتاجه الرئيس، لفرض عقوبات من مِثل تجميد الممتلكات ومنع السفر، هو «معلومات موثوقة»، ما يلغي ضرورة ترشيح الكونغرس لأسماء الأشخاص الذين تجب معاقبتهم، وبالتالي يعفي البيت الأبيض من مهمّة مفاوضة الكونغرس ومساومته. بتعبير آخر، لا تزال العقوبات مبنيّة على المتطلّبات ذاتها، أي «المعلومات الموثوقة»، ولكن يكفي اليوم أن يرى شخص واحد، هو الرئيس، أنّ المعلومات موثوقة بالفعل.

### ما هو «ماغنيتسكي»؟

تحوَّل «قانون ماغنيتسكي»، الذي صدرت نسخته الأولى عام 2012، إلى أداة حرب ناعمة رئيسة بيد الأميركيين، بعدما بُني على سردية تحوم حولها الكثير من الشكوك. وسُمّي القانون بهذا الاسم نسبةً إلى سيرغي ماغنيتسكي، وهو - وفق السردية الشائعة - محام روسي، اكتشف قضية فساد ضدّ مسؤولين روس عندما وظّفه ويليام بيل برادور عام 2007، وأصرّ على الادعاء ضدّهم، رافضاً الهرب من بلاده، ليدفع حياته ثمناً لذلك. إلّا أن عدّة محاكم أوروبية وبريطانية أثبتت بطلان هذا الادّعاء، وفق الآتي:

أوّلاً: ماغنيتسكي محاسب وليس محامياً.

ثانياً: ويليام بيل برادور، زبون لدى الشركة التي يعمل فيها ماغنيتسكي منذ سنوات، ولم يوظّف الأوّل الثاني على الإطلاق.

ثالثاً: ماغنيتسكي متّهم في قضية احتيال على مصلحة الضرائب الروسية لصالح شركات أجنبية، تعود إلى عام 2004، وتتعلّق بشركة «جيميسون فايرستون» التي يعمل فيها، وصندوق «إيرميتاج» الاستثماري العائد إلى بيل برادور.

رابعاً: حاول ماغنيتسكي الهرب إلى أوكرانيا فور طلبه للشهادة.

أمّا قضية مقتله في السجن، فهي تُراوح بين ادّعاء برادور أيضاً مدار بحث في القمّة الأوروبية - الصينية التي انعقدت أمس في جوّ شديد التوتر، بحسب ما كشفت رئيسة المفوضية الأوروبية، أورسولا فون دير لاين. ولفتت دير لاين إلى أن الاتحاد الأوروبي دعا بكين «إلى عدم التدخّل» لمساعدة روسيا على مواجهة تداعيات العقوبات الغربية، مشيرة إلى أن الاتحاد حذر من أن أيّ دعم لموسكو «سيشوّه سمعة» الصين في أوروبا. من جهته، قال رئيس المجلس الأوروبي، شارل ميشيل، إن الدول الأوروبية دعت الصين إلى المساعدة في إنهاء الحرب في أوكرانيا، مضيفاً أن الاتحاد الأوروبي سيظلّ يقظاً تجاه أيّ محاولة لمساعدة روسيا. في المقابل، أكدت وزارة الخارجية الصينية أن بكين «تعارض الحروب البادرة والساخنة والانقسامات وترفض الانحياز» إلى أيّ طرف. وأعلنت أن المسؤولين الصينيين والأوروبيين «اتفقوا على العمل معاً لحفظ السلام والاستقرار والازدهار على مستوى العالم»، و«من أجل إقامة حوار حول أمن الطاقة والغذاء».

قتَلة مثْبتون ليتمّ فرض عقوبات عينيّة عليهم، وفق ما يدعو إليه القانون. كذلك، يعترف التقرير بأن برادور وشركاءه قاموا بالاحتيال على القانون الروسي لشراء أسهم «غازبروم» الممنوع على الأجانب شراؤها، عبر شركات وهمية، وبأنهم قاموا بتهريب الأرباح والتهرّب الضريبي. ومع هذا، يسترسل غروس في الدفاع عن برادور، ويصوّره كفارس شجاع محارب للفساد، وابتزازه لشركائه «عملاً نبيلاً». إلّا أنه، إلى جانب ما تَقدّم، أضاف «مجلس أوروبا» نفسه 23 تعديلاً على التقرير، قبل تمرير القانون مطلع عام 2014، أكد فيها أنه لا يوجد أيّ دليل يثبت أن ماغنيتسكي قام بأيّ فعل لمحاربة الفساد سوى ادّعاءات برادور، كما لا أدلّة أيضاً على مقتل ماغنيتسكي بشكل متعمّد، أو على تورّط وزارة الداخلية الروسية في مقتله.

ولم يكن المجلس الطرف الوحيد الذي شكّك في معطيات تقرير غروس (المُحرّك الرئيس لتبنّي النسخة الأوروبية من القانون)، بل إنّ الأخير تجنّب المثول أمام محكمة أميركية للشهادة حول تقريره الصادر عام 2013، ولذا اعتبر قاضي نيويورك الفيدرالي، ويليام باولي، عام 2017، أن التقرير غير صالح للاستفادة منه، علماً أن غروس برّر عدم مثوله في نيويورك بأنه لا يستطيع تحمُّل تكلفة رحلة لمدّة ثلاثة أيام، من دون إعطائه تعويضاً عن تكاليف السفر والتحضير القانوني. ولكنه أصرّ على أن لا تُفهم هذه الأعذار على أنه غير مستعدّ للدفاع بكلّ قوّة عن ما توصّل إليه. ومع ذلك، رفض غروس مجدّداً المثول أمام هيئة مساءلة في «مجلس أوروبا» بخصوص قرار المحكمة الأميركية، وعليه تمّ إبعاده من المجلس بشكل كلي.

وعلى رغم كلّ تلك الحقائق والمعطيات، لا يزال التعتيم طاغياً على قضية ماغنيتسكي، وهو ما يمتدّ إلى الصحافة العربية أيضاً، حيث تكاد لا تعثر، منذ صدور القانون الأول عام 2012، على أيّ مواد تحاول التدقيق في الرواية الأميركية. أمّا عالمياً، فقد تمّ توجيه اتهامات وشكاوى ضدّ صحيفة «دير شبيغل» لتجرّؤها على طرح بعض الأسئلة والشكوك حول الرواية الغربية المُعتَمَدة، فيما أنه قُتل على يد حرس مكافحة الشغب داخل زنزانته، وبين تأكيد الجهات الأوروبية الداعمة للقانون ووالدة سيرغي أنه توفّي نتيجة الإهمال الطبي، وبين تقرير الحكومة الروسية الذي تحدّث أيضاً عن الإهمال الطبي، وبين ادّعائها اللاحق أن تحقيقات تُظهر تورُّط برادور في قتل ماغنيتسكي، كون الأخير الشاهد الوحيد لدى الحكومة الروسية على سرقة برادور، وتجاوزه القوانين الروسية، وتهرّبه الضريبي سعياً لتحقيق الربح. وبالتالي، فليست روسيا وحدها من تُكذّب الادّعاءات المتقدّمة، بل إن حجّة «المعلومات الموثوقة» أُسقطت في محاكم كلّ من بريطانيا والسويد وسويسرا و«المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان»، كما أن برادور تهرّب من الشهادة عدّة مرّات في أميركا ضدّ شركة «بريغزون»، التي قدّم بنفسه ضدّها «الأدلة» إلى الحكومة الأميركية، ليُعتمَد عليها في محاكمة الشركة بدعوى أنها استفادت من قضية الفساد التي يُفترض أن ماغنيتسكي كشفها وقُتل بسببها.

> يبدو قانون ماغنيتسكي، بنسخته الجديدة، مُوجّهاً للاستخدام بشكل أكثر مرونة من قِبَل الإدارة الأميركية

ولعلّ من أهمّ الوثائق التي تُثبت بطلان الادّعاءات الغربية حول قضية ماغنيتسكي، تقرير المقرّر الخاص لحقوق الإنسان لدى «مجلس أوروبا»، أندريه غروس، والتعديلات التي أُلحقت به. فهو يُظهر أن ماغنيتسكي محاسب، وأن برادور زبونه، وأن الأوّل مات ولم يُقتل، أي أنه ليس ثمّة

### النسخة الجديدة

يبدو قانون ماغنيتسكي، بنسخته الجديدة، مُوجّهاً للاستخدام بشكل أكثر مرونة من قِبَل الإدارة الأميركية، الأمر الذي يفتح الباب واسعاً أمام الاستهداف السياسي والافتراء والابتزاز. فأن يَمرّ القانون عبر مكتب الرئيس وحده، من دون أيّ حسيب أو رقيب أو حتى إمكانية ضئيلة لتضارب المصالح بين الحزبين بما يتيح القليل من التمحيص أو الموضوعية حول مَن يجب أن تقع عليه العقوبات، يعني أن «ماغنيتسكي» قد أصبح قانون عقوبات سياسية بشكل مكتمل لا لبس فيه.

البلاد
ملف

# انتفاضة آذار لم تنفَد: يا أمّنا الأرض أبشري

صادق القضماني

شكّلت انتفاضة الثلاثين من آذار 1976، محطّة مفصلية في نضال فلسطينيّي الداخل المُحتل عام 1948، كَونَها مثّلت أوّل مواجهة شاملة مع الاحتلال منذ النكبة، كسر فيها أصحاب الأرض المحتلّة حاجز الخوف الذي عاشوه خلال فترة الحُكم العسكري ما بين عامَي 1948 و1966، ليُرسوا قواعد نضالية جديدة ما زالت حاضرة إلى يومنا هذا. في عام 1975، أعلنت المؤسّسة الصهيونية التي كان يرأس حكومتها آنذاك إسحاق رابين، ويتولّى شمعون بيريز فيها منصب وزير الأمن، عن خطّة لتهويد الجليل، لتصادق حكومة الكيان في 29 شباط 1976 على مصادرة 21 ألف دونم في الجليل، بما فيها أراضٍ تعود ملكيّتها إلى فلاحين من سخنين وعرابة ودير حنا وعرب السواعد، في إطار سياسة مستمرّة ومتصاعدة للاستيلاء على الأراضي العربية المتبقّية. تداولت القوى الوطنية التي كانت موجودة آنذاك، في كيفية التصدّي لهذا المشروع، ليتقرّر تشكيل «اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي»، التي عقدت اجتماعاً عاجلاً يوم 1 شباط في الناصرة، نتج منه إعلان الإضراب العام والشامل في 30 آذار.

ليس عبثاً أن يصبح 30 آذار يوماً للأرض، أحداثه شكّلت مدرسة في معنى الارتباط بالأرض والدفاع عنها، ومؤشّراً إلى وعي جماهيري مرتبط وجدانياً بالوطن، على رغم سلب السيادة السياسية من قِبَل دولة الاحتلال. خروج الناس للمشاركة في التظاهرات كان تعبيراً عن علاقة مختلفة بين المحتلّ والفلسطينيين. في صباح الثلاثين من آذار، وعلى رغم حظر التجوّل المفروض، واتّخاذ الحكومة الصهيونية قرارها بإدخال جيش الاحتلال لقمع التظاهرات وكسر الإضراب، وبعد أن انتشر نبأ استشهاد خير ياسين من قرية عرابة، انطلقت في معظم البلدات العربية تظاهرات حاشدة وغاضبة، كان أبرزها في مدينة سخنين، حيث استشهد ثلاثة من شهداء «يوم الأرض»، وهم: خديجة شواهنة، رجا أبو ريا وخضر خلايلة. وفي قرية كفر كنا، استشهد محسن طه، وفي مدينة الطيبة رأفت الزهيري، من سكان مخيم نور شمس في طولكرم.

في الأعوام التالية، تحوّل الشهداء الستّة إلى شواهد على إرهاب الكيان. بُني صرح تذكاري لهم يجتمع حوله الفلسطينيون كلّ عام إحياءً للذكرى، ولتثبيت النهج الوطني للسكّان الأصليين، بعدما استطاع فلسطينيّو الـ48 تغيير معادلة الصراع، وإنهاء 28 عاماً من اعتقاد الكيان بأنه فرض هيمنته على ذهنيّة أصحاب الأرض، وتحوّلوا إلى رافعة لنموّ الوعي الوطني الفلسطيني العام والوجدان القومي العربي، خصوصاً أن الحدث تزامن مع تصاعد وهج الثورة الفلسطينية و«منظمة التحرير». وبذلك، تعزّزت العلاقة المصيرية مع الفلسطينيين في المناطق المحتلة عام 1967، الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس، ليصبح هذا اليوم يوماً وطنياً لعموم الشعب الفلسطيني في الداخل والشتات. وقد كانت للحدث، أيضاً، تأثيرات على الحركة الوطنية في الداخل الفلسطيني؛ فقد برزت في مرحلة انتفاضة عام 1976، قيادات ساهمت في بناء أطر وهيئات وحركات تنظيمية، رفضاً للاعتراف بشرعية الكيان. كما شكّلت الانتفاضة نقطة انطلاق لِمَا تلاها من محطّات مواجهة مختلفة مع المحتلّ، وهو ما تجلّى في هَبّة القدس والأقصى عام 2000، حيث شهدت أراضي عام 1948 فعاليات أظهرت تلاحم أبناء الشعب الواحد.

وعلى رغم ممارسة كلّ أشكال القمع والترهيب ومحاولات الأسرلة، إلّا أن جيل انتفاضة الأقصى، الذي تعزّزت في ذهنيّته وسلوكه هويّته العربية الفلسطينية، وضع خنجراً جديداً في نعش الكيان، وذلك في الهَبّة الأخيرة لنصرة القدس والشيخ جراح، إذ أرست هذه الهَبّة قاعدة اشتباك جديدة، أدّت إلى توحيد الجبهات الفلسطينية، حين دخلت فصائل المقاومة في غزة المعركة من خلال عملية «سيف القدس»، وانتفضت الضفة الغربية، وهدّد «محور المقاومة» بحرب إقليمية، ما عزّز حقيقة أن فلسطينيّي الداخل هم جبهة الدفاع الأولى عن الحقّ الفلسطيني.

اليوم، يشكّل العرب الفلسطينيون في مناطق الـ48، ما يقارب 21% من مجمل سكّان الكيان، ويمارسون كلّ أشكال النضال، الذي بات يمثّل «فوبيا» يومية للقيادة والمجتمع الإسرائيليَّيْن، وعامل تهديد لأمنهما القومي. ولا يغيّر في تلك الحقيقة تطبيع أنظمة عربية تابعة، ولا محاولات قوننة يهودية الدولة؛ إذ ستبقى عروبة الأرض والحقوق الفلسطينية أساساً لنهج المقاومة لاستئصال الاحتلال وتحرير الأرض وعودة اللاجئين.

## جرحى «مسيرات العودة»

# مستنقع عذابٍ يطول مَقامه

يوسف فارس

أخيراً، حسم أيمن النجار أمره، وقرّر أن يتحمّل الألم «آخر الدواء» لمرّة واحدة، حتى لا يُكمل بقيّة حياته حبيساً له، على رغم أنّ «آخر الدواء» هذا، هو البتْر وليس الكيّ. النجار، ابن الـ28 عاماً، هو أحد مصابي «مسيرة العودة الكبرى» عام 2018، وقد أجرى حديثاً عملية بتر لساقه اليُمنى، بعد مرور سنوات على إصابته بطلق ناري متفجّر. يقول النجار إلى «الأخبار»: «قاومْت البتْر، وتحمّلْت الألم الذي تسبّبَت به الإصابة طوال أربعة أعوام، وبعد خضوعي لعدّة عمليات، تبيّن أنّ الألم جرّاء قطع عدد من الشرايين والأوتار سيبقى رفيقي طول العمر، لذا، وجدت نفسي مضطرّاً للدخول في فئة الأشخاص ذوي الإعاقة، حتّى أستريح من العناء». ويُشير الشاب العشريني إلى أنّ اتّخاذ قرار كهذا كان بالغ الصعوبة، إذ سيجبره على الانضمام إلى مصافّ العاطلين عن العمل، إضافة إلى الأثر النفسي القاسي عليه، لكن «ما باليد حيلة»؛ فقد وصل الأطباء الذين يتابعون حالته إلى آخر المطاف، وأبلغوه بأنه لن يُشفى من تلك الآلام، إلّا إذا بُترت ساقه.

غير أنّ الجريح محمد المغاري، الذي يُعاني من إصابة شديدة في ساقه اليمنى، ويتعاطى الدواء مذ أصيب فيها بطلقة قنّاص متفجّر قبل أكثر من ثلاث سنوات، قرّر أن لا يستسلم؛ فهو يرى أن احتماله الألم الذي تسبّبت به إصابته، أهون من أن يصبح أسيراً للكرسيّ المتحرك. ووفقاً لتقرير مؤسّسة «أطباء بلا حدود»، فإنّ المغاري يُعاني التهاباً مزمناً في العظام، حيث تسبّبت الالتهابات بتنامي بكتيريا مقاومة لمعظم المضادّات الحيوية، ما يحدّ من استجابته للأدوية، لذا، أوصى الأطبّاء في الأردن ومصر، بأن الحلّ الأمثل لوقف الألم، هو البتْر.

ويؤكّد الدكتور محمد قنينز، وهو أخصائيّ العظام في «مستشفى ناصر الحكومي»، أنّ نسبة جرحى «مسيرات العودة» الذين تزايدت حاجتهم إلى إجراء عمليات بتْر للأطراف بعد مرور سنوات على إصابتهم، في تزايد مستمرّ، لكن كثيرين منهم يرفضون البتْر بثبات، على رغم أن الالتهابات البكتيرية التي يُعانون منها قد تتطوّر إلى تسمّم قاتل. ويوضح قنينز أنه «بالنسبة للكثيرين، يُعتبر البتْر الملاذ الأخير الذي يُنظر إليه على أنه نوع من الفشل الطبّي، على الرغم من أنه قد يؤدي إلى حدّ كبير إلى تحسين نوعية حياة المصابين». ويُشير الطبيب الذي تابع حالات أكثر من 50 مصاباً مشابهاً لحالة المغاري، إلى «(أنني) عملت مع مصابين من مسيرة العودة الكبرى منذ البداية... أولئك الذين ما زالوا يتلقّون العلاج اليوم يعانون أكثر من غيرهم، فكلّما طالت رحلة التعافي، زادت احتمالية الإصابة بالالتهابات».

وتُشير إحصائيات الأمم المتحدة إلى إصابة أكثر من 36 ألف شخص خلال 18 شهراً من فعاليات «مسيرات العودة»، 22% منهم بالرصاص الحيّ، و7000 منهم في الأطراف العلوية والسفلية من الجسم، ما تسبّب بإجراء 156 عملية بتْر. محمد عليان، هو واحد من هؤلاء المصابين، يقول، في حديثه إلى «الأخبار»، إنّ إصابته أقعدتْه عن عمله في صالون تصفيف الشعر الذي كان يديره، وقد سافر إلى عدّة بلدان لتلقّي العلاج من بينها تركيا ولبنان، لكن كافة الجهود التي بذلَتها الطواقم الطبّية في غزة والخارج، لم تخفّف من حدّة الألم الذي ما زال يعانيه بعد أربعة أعوام على إصابته. ويبيّن عليان أن التقارير الطبّية أشارت إلى إصابته بنوع غريب من الرصاص المتفجّر، يُسمّى شعبياً بـ«الفراشة»، وهو يتشعّب داخل الجسم إلى شظايا، تعمل على تقطيع الشرايين والأوتار الحسّاسة، ما يؤدّي إلى تعطيل عمل الأطراف، فضلاً عن تسبّبه بالألم مع تقادم الإصابة.

وتساهم محدودية الإمكانيات الطبّية في القطاع، والضغط الذي تعاني منه المؤسّسات الصحّية الحكومية، في تحويل الإصابات التي تتطلّب عمليات جراحية معقّدة إلى مستشفيات الضفة الغربية المحتلة، لكن الحصول على تصريح للعلاج، ليس متوفراً في الأغلب. وتوثّق الأمم المتحدة أنه من بين 604 طلبات، تمّت الموافقة على 17% ورفض 28%، بينما لم يتلقَّ الباقون إجابة في الوقت المناسب على مواعيدهم الطبّية.

### الفقر يضاعف الألم

إضافة إلى الألم الذي يعيشه المصابون، فإنهم يعانون من أوضاع مادّية صعبة، خصوصاً منهم مصابو الأطراف، الذين أقعدهم وضعهم الصحّي عن العمل. ويتلقّى المصابون مساعدات مقطوعة لا تتجاوز الـ700 شيكل ($230) في كلّ ثلاثة شهور، تصرفها الحكومة في غزة، فيما لا تعترف حكومة رام الله بجرحى «مسيرات العودة»؛ إذ لم تُضِف إلى سجلّاتها عقب حرب عام 2014 إلّا حالات معدودة. «الفقر يؤلم أكثر من الإصابة»، يقول الشاب محمد المدهون، ويتابع في حديثه إلى «الأخبار»: «أعيل أسرة مكوّنة من ثلاثة أبناء، وفقدْت عملي الذي كنت أحصل منه على قوت يومي، ونحن والآلاف مثلنا نعيش رهناً للمساعدات المقطوعة». ومؤخّراً، أقدمت الحكومة في غزة على قطع رواتب المئات من المصابين. ووفقاً لعامر أبو القمصان، وهو المتحدّث باسم جرحى «مسيرات العودة»، فقد تفاجأ الجرحى في نهاية العام الماضي بخصومات فرضتها وزارة الشؤون الاجتماعية في القطاع على رواتب الجرحى، فضلاً عن قطع رواتب أعداد كبيرة.



# ممنوعٌ التضحية بفلسطين!

مروان عبد العال *

هكذا أصبح يوم الثلاثين من آذار، منذ عام 1976، يوماً خالداً للأرض، تمجيداً للملحمة البطولية المستمرة في وجه الاحتلال وسرقة الأرض وابتلاعها وتهويدها وتشويه تاريخها وتراثها وذاكرتها، واقتلاع شعبها وتشتيته، ليثبت مع ذلك اليوم التاريخي شرعية البقاء والوجود والصمود والعهد على النضال والمقاومة حتى تعود إلى أهلها وأصحابها.

لمشهدية يوم الأرض بُعد واعٍ، وانطلاقاً من عدم تحويلها إلى مناسبة فولكلورية، غير قابلة للترجمة في الساحة السياسية، تحتاج إلى مقاربة في الفكر السياسي العقلاني والواقعي؛ إن تغييراً قد حدث على طبيعة الحرب، لجهة ارتفاع مكانة البُعد الاجتماعي في الصراعات الاستراتيجية، من جهة القدرة لكل طرف في التأثير على الوعي المدني للطرف الآخر، لذلك أصبحت الحرب حرباً على عقول البشر وقلوبهم. ويسمّي البعض هذه الظاهرة «نظرية الحرب الاجتماعية» التي تجعل المجتمع المدني في المركز. صحيح أن الأرض محور الصراع، واحتلالها هو مصدره وغايته. لكنها ليست بمعزل عن احتلال الإنسان والمجتمع والوجود، لأن الحسم يكون في معركة الوعي بين الحق والباطل؛ على مبدأ «يضيع حق إذا ضاع المطالب». فالوجود هو الحامل الموضوعي الاجتماعي للصراع ولفكرة حتمية التحوّل التاريخي لإحقاق الحق، ولكن يجب أن ندرك بأن هذه الثقة بحتمية النصر تخبو أو تنشط حسب قوة البعد الاجتماعي أو ضعفه. كذلك بقاء أو نهاية هذا الوجود، وعيه أو لا ـ وعيه لهذا الحق، عامل توحدة كطاقة كامنة، لا يمكن نزعها من أعماق الشعب الفلسطيني، لأنها تستند إلى قناعة هذا الوجود بحتمية التحرير. وحدة الأرض، كل الأرض، والشعب، كل الشعب، والقضيّة، كل القضيّة، الغاية الجامعة لهذه الثلاثية الذهبيّة، التي تلخص صراع الوجود، فالحرب على الأرض تبدأ بالحرب على الوجود الفلسطيني، المتجذر بالأرض في سبيل تحرير فلسطين.

يقول ميكافيلي إنّ الخطأ الشائع عند الناس هو أنّهُم لا يحسبون حساب العاصفة عندما تكون الرياح هادئة. لكن استشعار يسرائيل كينغ تفوّق على شيطانية صاحب كتاب «الأمير»، عبر كتابته الوثيقة العنصرية التي سمّيت «وثيقة كينغ»، وذلك قبل العاصفة وبعدها، الجزء الأوّل قبل يوم الأرض عام 1976، والجزء الثاني (الملحق) تمّ تحضيره بعد ذلك، ويستدل منها أن الحكومة الصهيونية حوّلتها إلى بوصلة استراتيجية للتعامل مع المواطنين العرب. بعدما فاجأتهم تظاهرات يوم الأرض التي كانت جارفة إلى الحدّ الذي سحبت فيه معها مُعظم فلسطينيي الدّاخل. أتت هذه الوثيقة بتوصيات لكيفية التعامل مع الفلسطينيين داخل الكيان، لا تزال مفاعيلها بائنة في النقب، كما الجليل والقدس والقوانين والمراسيم الصهيونية، لتظهر أنّ الدولة العبريّة تعتبرهم خطراً كامناً وتُصرّ على قوننة الابارتهايد، وتتعامل معهم كأعداءٍ لها.

لطالما اعتبرهم العدو الصهيوني أنّهم الخطر الوجودي الكامن على الكيان، لذا، انتهج سياسة سيطرة وقمع ومنع تطور المجتمع وتدمير نُخَبِهِ السياسية والثقافية والعلمية والمدنية. فمهمة المشروع الصهيوني المضاد لم تتوقف يوماً عن مهمة نفي وتجريد المشروع الفلسطيني من قوته، وعزله عن محيطه وصولاً إلى فكفكته، ثمّ محو الشخصية الوطنية الفلسطينية، كشخصية نقيضة له، وكذلك محو ذاكرة الفلسطيني، زمانياً ومكانياً، والعمل الدؤوب لاغتيال أحلامه، وتحقيق حقه بالعودة.

من عناصر القوة التي ظهرت في معاني يوم الأرض:

ـ في يوم الأرض، سقطت مقولة «أرض بدون شعب، لشعب بدون أرض» كما روّجت لها الصهيونية. الوجود هو الشاهد الحي على الحق، والأرض لم تعد مجرد ترنيمة شعرية عليها «ما يستحق الحياة»! بل غدت هي الحياة والهواء والحرية والهوية والانتماء والبقاء، وسر الوجود الفلسطيني الذي لا ينطفئ: هكذا وبعد 28 سنة على احتلالها عام 48 انتفض الجليل والمثلث، في وجه التهويد وسرقة الأرض وابتلاعها واحتجاز الحياة.

قالها أحد قادة الصهاينة العنصريين: «كنا نظنهم ليسوا سوى حطابين وسقايي مياه، لنكتشف أنهم فلسطينيون...».

ـ بعد يوم الأرض، لم يعُد الشعب العربي الفلسطيني المحتل عام 48 يسمّى «البقية الباقية»، بل هو جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني ومن الأمة العربية، وبعدها تبلورت الشخصيّة الوطنية، ولم يستطع هذا العدو أن يلغي هذه الشخصية أو الهوية العربية القائمة على أرض فلسطين. ترعبه الحقيقة كما الحق، لذلك جاء قانون الدولة اليهودية ليعكس أزمة الهوية وأزمة شرعية الوجود، كما لقوننة رسمية للفصل والانفصال العنصري.

ـ من يوم الأرض إلى انتفاضة الحجارة وهبّة أكتوبر إلى هبّة الأقصى وسيف القدس، فوجئ الذي راهن على أن سنوات الاحتلال ستجعل منه وجوداً سلبياً يضحي بذاته وهويته ووجوده وفلسطينه. يخطئ من لا يعتقد أن فلسطين كانت وما زالت هدف الاشتباك المجتمعي التاريخي الشامل، والمقاومة المجتمعية التي تجلّت بأبهى صورها في أيام سيف القدس، إذ نلحظ كيف ازداد مؤشر الخطر الوجودي عند الكيان، حينما وجد ذاته، ليس في مواجهة جيش نظامي أو مجموعات أو فصائل، على أهميتها، وإنما بمواجهة شعب نشيط حيوي يبادر ويقاوم ويدافع ويبني ويطارد، يدرك مكانة كل تجمع فلسطيني وكل فئة، من الجامعة إلى الإعلام والفن والرسم والكلمة والثقافة والتراث والعلم، إلى وسائل التواصل إلى قيمة القدس وخطورة الاستيطان والزجاجة والطلقة والصاروخ... المقاومة المجتمعية لشعب يتصرف في كل أماكن وجوده كَبَدٍ للاحتلال.

مشهدية يوم الأرض تطرح مفهوم الوعي و«معركة الوعي» والتي اتخذت طبقات إضافية من التفسير والتحليل والتنفيذ مع مرور الوقت، لذلك تتجدد موقعة يوم الأرض، طالما وثيقة كينغ سارية المفعول منذ 1976، الوثيقة التي أضحت دستوراً نموذجياً لنظام أبارتهايد، لشن حرب على الوعي العربي، والذي يعتبر العرب سطحيين ومتخلّفين بحاجة إلى علاج خاص ومراقبة دائمة، ويسعى إلى خلق واقع فاشيّ يلاحق ويمنع ويدمّر المجتمع العربي في شتى المواضيع.

بالتوازي مع خطوات تفريغ المشروع الوطني من مضمونه الوطني والتحرري كأداة توحّد الشعب الفلسطيني في جميع أماكن وجوده.

لذا، تسرّع الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة الخطى لشن الحرب الاجتماعية، لتصفية المقاومة المجتمعية الفلسطينية الصامدة فوق أرضنا منذ عام 1948، وتغذية الشاعر العنصرية وتحويلها إلى قانون ونظام تربية وممارسة تطبيقية كأداة سياسية ونماذج في مواجهة المجتمع العربي، على سبيل المثال وليس الحصر:

1ـ نموذج «الموت للعرب» العنصرية الرسمية والشعبية ليست سوى مؤشر على ما يمكن أن يتطوّر له الوضع في المستقبل المنظور. لقد شكل الإجماع اليهودي ضد العرب مدخلاً لهجمة أكبر على الوجود العربي برمّته، وخاصة في المُدُن المختلطة، حيث تظهر بوضوح أكبر عبر شعارات «الموت للعرب» المكتوبة على جدران منازل عربية وبنايات عامة، يؤشر إلى أن العرب لم يعودوا بالنسبة إلى اليهود سوى غرباء في وطن ينكرونه عليهم ويشدّدون سعيهم لطردهم منه.

2ـ نموذج إعادة إنتاج هتلر: من خلال إقرار قانون الدولة اليهودية القومية، كنموذج مستمد من النازية وسياسة العرق الراقي وشعب الله المختار، من خلال المطالبة بتحقيق الدولة النقية، تحقيق الحلم الصهيوني الذي بات يشكل خطراً جدياً، كونه يسير عكس حركة التاريخ والقانون الإنساني، على مستقبل الفلسطينيين وحقوقهم في الداخل والخارج. ويرفع الغطاء عن أصحاب شعارات الاندماج وتحسين الحياة المعيشية داخل الكيان، والمطالبة بالمساواة والاعتراف بالمواطنة وبحقوق السكان الأصليين في ظل «الدولة اليهودية»، ويضع المجتمع الفلسطيني خارج نطاق مواطنتها الفعلية وديمومتها.

3ـ نموذج «فرّق تسُد»، القاعدة الاستعمارية القديمة ـ الجديدة: إذا كان فلسطينيو 48 يشكلون 19 في المئة فقط من سكان دولة الاحتلال، لماذا 70 في المئة من الجرائم فيها تقع في صفوفهم؟ وأن نسبة ضحايا القتل لكل 100 ألف شخص في المجتمع الفلسطيني تبلغ خمسة أضعاف نسبتها في المجتمع الإسرائيلي؛ تظهر تورط الكيان في إدخال المجتمع الفلسطيني في عالم الجريمة الاجتماعية، بما فيها وسائل القتل من سلاح وسموم ومخدرات. تسهيل حصول هذه الجرائم، ولماذا وإلى أيّ حدّ يسهم ذلك في إذابة الهُويّة الفلسطينية العربية لهم أمام باقي الهويات القائمة في دولة الاحتلال.

4ـ نموذج تدمير نخبة المجتمع: العمل على سيطرة الاحتلال على جهاز التعليم والتحكم بالمناهج لمحو الهويّة الفلسطينية، من خلال محاربة التفوّق وتهميشه للسيطرة عليه وتظهر عنصرية التعليم ومحاولات دفع الطلّاب العرب للمواضيع العلميّة والطبيعيّة بدلاً من العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، كما ذكر في توصيات «وثيقة كينغ»، هذا التوجيه يجعلهم أقلّ انشغالاً بالقضايا الوطنيّة. لذلك، يمسك الكيان بمضامين المنهاج بحيث تخدم الرواية الإسرائيلية من جهة، وتعمل على مسخ هوية الطلاب التي تتشكل من اللغة والتاريخ والدين وانتمائهم الفلسطيني والعربي والإسلامي؛ وغسل أدمغتهم من خلال فرض الرواية الاحتلالية على مضامين المنهاج.

5ـ نموذج «فوبيا الديموغرافيا» الذي يعبّر عنه الكيان في إعلامه وسياساته وتصريحات نخبه السياسية، ولعل اعتماد قوانين السكن والعمل والهجرة... إلخ، وخاصة قانون الدولة اليهودية الذي وافق عليه الكنيست، جاء في جوانبه استجابه لهذا الهاجس الذي ما انفك يقلق القادة الصهاينة، فلم يزل الاحتلال غير قادر على قبول هذا المكون على مدى عمر النكبة، حيث اشتد الصراع بين سياسات الأسرلة والتمسك بالهوية الوطنية.

مع ذلك، تتفاعل مسألة الخطر الوجودي بشأن مستقبل الكيان الصهيوني، وخاصة عندما يشكك كبار الكتّاب والمؤرخين بوجود إسرائيل ومستقبلها؛ والتي دفعت بالمفكر الاقتصادي إسرائيل أومان إلى القول: «إذا لم ندرك لماذا نحن موجودون هنا، وأن إسرائيل ليست مجرد مكان للسكن فيه، فإننا لن نبقى».

الأرض، في يومها، تنتصر لـ«نظريّة الخيار الثوري العقلاني المقاوم» الذي يفصل بين الحق والباطل وبين التضحية بفلسطين، بأرضها وحكاياها وذاكرتها وشعبها وروايتها وحقوقها وقضيتها أو المقاومة لأجل فلسطين. ويكون الكلام أحد شيئين: إمّا أن يكون كاملاً أو لا يكون، إمّا مع فلسطين أو عليها! التضحية من أجل «استرداد فلسطين» وليس التضحية بأرض فلسطين (48) أي 78 في المئة من أرض فلسطين، وقبول مشوّه لما تبقّى من الضفة الغربية. وهذا ضرب للاستراتيجي والمرحلي معاً. وفلسطين تعني أن نعلي شأن فلسطينيي الـ 48 ودورهم، والوجود الذي يواجه الممارسات العنصرية وسياسات الأسرلة. لم تكن هذه السنوات كافية أن تُفقد هذا الجزء من شعبنا هويته الوطنية الفلسطينية.

العالم يتغيّر، وسياسات وموازين قوى دولية تغيّرت، ومعها ارتدادات وتداعيات محلية وإقليمية، لكن صوت المقاومة سيبقى «ممنوع التضحية بفلسطين»، لا بأرضها ولا بشعبها، ولا بترك الشتات يغرق في مشاكله الإنسانية دون الأفق السياسي، ودون أي دور يوكل إليه. إن وظيفة الشتات البعيد في الظروف الملموسة هي بناء الذات، واستعادة القوة المهدورة والثقة بالنفس وتظهيرها هويةً ودوراً وفعلاً، والعمل على دعم حركات عزل الصهيونية وكشف وجهها العنصري على مستوى الميدان العالمي، ومحاربة التطبيع وكشف استهدافاته، كل ذلك في إطار مأسسة دور الشتات وقيادته إلى مواقع الفعل الوطني، بما يجعل العالم لا ينام على مأساة شعبنا الفلسطيني وتشريده ومعاناته. أي أن الهدف الناظم لاستراتيجية النضال الوطني هو حفظ الوجود وشرعية النضال لتحقيق حق العودة.

في معركة الوجود ونظرية الحرب الاجتماعية تحدّثت دراسة استراتيجية صهيونية حديثة عن الحملة من أجل الوعي عندما تكون سلبية، أي منع تطوّر حالات الوعي غير المرغوب فيها، أو إيجابية، أي محاولة إنتاج وعي مرغوب، وكيف تستخدم أساليب العمل من الحرب النفسية والعسكرية والاحتيال والتأثير بوسائل إعلام وتواصل اجتماعي، منها المألوف وبعضها تقليدي وغير مألوف، بهدف إقناع مجتمع المقاومة بإلقاء السلاح، وبعدم جدوى مواصلة القتال، وتسخيف مسألة التجذّر بالأرض!

لكنّ إصرار أبناء الأرض على كسب معركة الوعي، ومهما بلغت الصعوبات وأشكال الخداع والهوان والتطبيع، من يُسقط راية فلسطين سيسقط، عاجلاً أو آجلاً. إنّها معركة الرواية الفلسطينية وتنشيط الفعل الثقافي الإبداعي أدباً وفناً ومسرحاً وسرداً وقصة وتوثيقاً، وتحويلها إلى مقاومة شاملة ومعركة وعي وتعبئة وتربية وطنية وحزبية، عنوانها «استرداد فلسطين» أرضاً وشعباً وتاريخاً.

**المقاومة المجتمعيّة تجلّت بأبهى صورها في أيام سيف القدس**

* كاتب روائي، قيادي في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»

# البلاد

## حديث أهل الأرض: هي آخر الطلقات... لا

**في الذكرى السادسة والأربعين ليوم الأرض، هذه بعض من شهادات سكّان الأرض الأصليين. شهاداتٌ تُجمع على أن كلّ يوم يمرّ من عمر الفلسطينيين هو يوم للأرض التي لا تفتأ تتعرّض للاحتلال والاستيطان والتنكيل، وعلى أن هذا الكابوس سينتهي عاجلاً أم آجلاً، ولو كره المُطبّعون**

■ باسل عباهرة ـ عرابة البطوف

يوم الأرض في ذاكرتنا هو يوم وطني بامتياز، فيه ومن خلاله نرى الاستعمار الصهيوني كمشروع أتى على حساب حقنا في هذه الأرض. يوم الأرض عبارة عن صرخة بالاستعداد للمواجهة الدائمة مع المشروع الصهيوني وسياساته الاقتلاعية، من المصادرة والتهجير والهدم، ومحاولة تشويه الهوية الوطنية للفلسطينيين في الداخل. أمّا التطبيع مع كيان غاصب يقتل ويهدم ويُصادر على مدار الساعة، فما هو إلّا غطاء لهذا الكيان وسياساته. ببساطة، التطبيع مشروع خياني ليس فقط للقضية والشعب الفلسطيني، بل وللأمّة العربية ومشروعها التحرري ولأحرار العالم المناصرين لقضيتنا.

■ ثائر عتايقة ـ النقب

يوم الأرض هو اليوم الذي يتجدّد فيه العهد مع الأرض والدفاع عنها، في ظلّ النكبات التي تراكمت على شعبنا وما زالت مستمرّة حتى هذا اليوم، وبالأخصّ في النقب، حيث قامت هذه الدولة خلال عام واحد بهدم ما يقارب الـ3000 بيت، واعترفت بثلاث قرى على مساحة 2800 دونم، مقابل مصادرة 13000 دونم، وأعلنت إقامة ثلاث مستوطنات لليهود المتديّنين. لقد مرّ النقب بمحاولات عديدة لسلخه، إلّا أنه في كلّ مرّة، تكتشف إسرائيل أنها لم تستطع أن تخلق البدوي الإسرائيلي، وأن هنالك عرباً صامدين على أراضيهم.

■ هناء الطاهر ـ الناصرة

يوم الأرض هو نموذج نضالي وثوري، كما الانتفاضتَين الأولى والثانية، وكما الكثير من الهبّات الفلسطينية والتي كانت أحدثها هبّة الكرامة في أيار 2021. وباعتقادي، على الفلسطينيين وكلّ الشعوب المُضطهدة تبنّي هذا النموذج الذي لا مُساومة فيه ولا تنازُل ولا تشويه للثوابت الوطنية، حتى تحرير الأرض الفلسطينية كاملة من الاستعمار الصهيوني، ونَيل الفلسطينيين حريتهم. أمّا بخصوص التطبيع، فما كان خَفيّاً تحت الطاولة أصبح فوقها، وما هذا إلّا دليل على أن كلّ مخططاتهم التآمرية السابقة باءت بالفشل. وبرأيي، لا فرق بين تطبيع وآخر، وأوّل من وافق على التطبيع وفتح الباب على مصراعيه أمامه، هو قيادة «أوسلو» الفلسطينية عبر الاتفاق المشؤوم، و«التنسيق الأمني».

■ عمر سعدي ـ عرابة البطوف

في سنة 1976، كانت تلك الهبّة البطولية للجماهير العربية التي اندفعت مساء يوم 29 آذار لصدّ قافلة مؤلّلة من الجنود وحرس الحدود والشرطة، والتي بفضلها ارتدّت السلطات الغازية على أعقابها، ليلاحق الشباب القافلة إلى خارج القرية، وينتشروا بين أشجار الزيتون، ويرجموا أفرادها. لقد سقط شهيد يوم الأرض الأول، خير ياسين، أمام ناظريّ، بعد أن دبّ الحماس فيه، فخلع قميصه وتقدّم نحو أفراد من الجيش بحجارته، حتى أصابته رصاصات الغدر في كتفه، ليرتقي شهيداً ويلتحق بأشقائه الثلاثة الذين كانوا قد سبقوه، ولتظلّ كلمات المرأة العرابية التي رثته، صادحة إلى اليوم وهي تقول:

يا غراب البين بالله عليك قلي
شو عملو ذول في خلي وولّدِي
يا ناس لا تهابوهن يا حرية طلّي طلّي
أرض الملّ غالية حترجع لنا ميّة الميّة

■ هديل زطمة ـ الناصرة

يوم الأرض ليس مجرّد ذكرى، وإنّما هو الماضي الذي عانى منه شعبنا، وهو الحاضر الذي لم ينقطع. كلّ يوم ينقضي هو يوم أرض، فالأحداث هي نفسها، إن كان في الداخل أو في الضفة وغزة، وهي هدم البيوت، ومصادرة الأراضي والممتلكات، والتعدّي على شعبنا بأساليب وحشية. وهي ممارسات عدوانية تحرّكنا كجيل شابّ لكي نحتجّ ونطالب بحقنا الوجودي، ونوصل رسالتنا وقضيتنا إلى العالم. لكن كلّ احتجاجنا يتمّ قمعه في اللحظة التي نسمع فيها أن دولة عربية وضعت يدها بيد إسرائيل، بهدف السلام المزيّف، والذي لا يخدم شعبنا وآلامه.

■ مالك عبيدات ـ القدس

يوم الأرض هو البوصلة التي أعادت الصراع الفلسطيني الصهيوني إلى الواجهة، ووحّدت الأقطار المتفرّقة، وأكدت أن فلسطينيّي الداخل هم جزء أصيل من الشعب الفلسطيني، كما زادت من الوعي لدى الأجيال القادمة بأن الدولة التي يتمّ التسويق لها هي دولة احتلال، وتستهدف كلّ مكوّنات الشعب الفلسطيني. وبالنسبة إلى التطبيع، فهذه الاتفاقيات تخدم الأنظمة العربية التي تسعى لإنهاء القضية الفلسطينية حتى يتسنّى لها تثبيت نفسها، وهي تعبّر فقط عن رأي شريحة صغيرة جدّاً من شعوبنا العربية، ولا يمكن أن يكون لها أيّ دور في تقليل التضامن مع قضية فلسطين.

■ اماني إبراهيم ـ سهل ابن عامر

التمسّك بالأرض والمواجهة لأجل الحفاظ عليها، هما جزء من الحفاظ على بقائي في وطني، على رغم أنه أصبح أرضاً محتلّة يسكنها الأغراب، وتحت سيادة سياسية تنفي وجوده. ولذا، لا تقتصر أهمية اليوم على كونه المواجهة الأولى والمباشرة بين أصحاب الأرض والمحتلّ، بل بوصفه منطلقاً لمرحلة مختلفة، أدرك فيها المحتلّ أن هذا الشعب لم ولن ينسى حقّه في أرضه، على رغم كلّ مخطّطات الأسْرلة. لقد حدث يوم الأرض تماماً بعد شعور بالنكسة، وفي ظلّ حُكم عسكري لسنوات بهدف عزل الفلسطينيين المتبقّين في أرضهم، وكذلك اليوم، تمرّ الذكرى وسط مشاريع مستمرّة للسيطرة على الأرض وسلب الإنسان انتماءه، بل ومحاولات تصفية للقضية الفلسطينية، لتكون رسالة بضرورة الاستمرار في المواجهة، ومن ضمن ما تتمّ مواجهته، مشاريع التطبيع وكلّ من التحق بركبها.

■ أنس حمد الله ـ طولكرم

يوم الأرض هو يوم فيه تجديد وتشديد على الهوية الفلسطينية الموحّدة، وفي كلّ أماكن تواجد الشعب الفلسطيني. فالحدث التاريخي بدأ في الداخل، ومن ثمّ انطلق إلى كلّ الأراضي الفلسطينية. وبعد تحرير فلسطين، يجب أن تبقى ذكرى هذا اليوم راسخة. أمّا مشاريع التطبيع الناعم فكلّها مشاريع خيانة للأمة والهوية، وليست خيانة لفلسطين وحدها.

■ عوض دراوشة ـ عرابة البطوف

كان يوم الأرض بمثابة انتفاضة على الوضع المحبط لفلسطينيّي الداخل بعد الاحتلالَين البريطاني والعثماني. وكشاهد على تلك الفترة، شباب عرابة البطوف أطلقوا الشرارة الأولى ليوم الأرض، في الـ28 من آذار، بدأت أرتال من المجنزرات وحاملات الوقود تجوب شوارع القرية. وفي الـ29 منه، احتلّتها قوات الاحتلال، ومنعت التجوّل فيها، قبل أن تندلع مواجهات مع الأهالي، أجبرت العدو على الخروج في نهاية المطاف. إذ في مواجهة قيام الشباب بإشعال الإطارات في الشوارع، ومحاصرة الجنود، عمدت قوات الاحتلال إلى إطلاق النار على الأهالي، ليعقب ذلك لقاء بين قائد المنطقة الشمالية، رافائيل إيتان، ورئيس مجلس القرية، المرحوم محمود نعانة، الذي طالب الأوّل بسحب قوّاته من مثلث سخنين - عرابة - دير حنا، وإطلاق سراح المعتقلين، مقابل فكّ الحصار عن فرقة المدرعات، وكانت المفاجأة أن قَبِل الجنرال، الذي كان هدّد بهدم القرية، بتلبية هذين الشرطَين، ليطالب عندها وفد المجلس الشباب بالكفّ عن رمي الحجارة وإزالة الإطارات الملتهبة.

■ منى سبابو ـ رام الله

يوم الأرض هو يوم خالد وباقٍ في وجداني، مع أنّني لم أشهد أحداثه، إلّا أنّني تعلّمتها. ويجب أن تأخذ الذكرى صدًى أبعد من المهرجانات الخطابية، وأن تكون يوماً للمواجهة في كلّ أماكن تواجدنا. وبخصوص التطبيع، أرى أن السلطة الفلسطينية هي مَن سهّلت في البداية، وأنها مسؤولة عن كلّ ما حصل، لكنّ لديّ إيمان بأن ما يحدث هو كابوس، وسيأتي اليوم الذي نزيل فيه وجوه المهزومين من لوحتنا.

## «الأرض» في تاريخ الصهيونيّة وفكرها

رزاف حلبي

يوم الأرض تتمّة لمسلسل النكبة وما قبلها؛ مشروع صهيوني استعماري استيطاني، بدأت ملامحه بالتطور بعد احتكار ثيودور هرتزل لفكرته وتحويلها من النظري إلى العملي. يظن البعض عند الحديث عن الصهيونية أنها مفهوم ثابت ذو تعريف واضح ومحدد قاد إلى ما آل إليه المشروع الإحلالي اليوم. ويظن آخرون أن المشروع الصهيوني كان المشروع الوحيد الذي عبّر عن اليهود في القرنَين التاسع عشر والعشرين. إلا أن الواقع التاريخي يقول إن مشروع هرتزل الصهيوني ما هو إلا تتمة للجدل الذي ساد عدة قرون سابقة حول الصهيونية واليهود.

يُعتبر المشروع الصهيوني، بصورته الحالية، خلاصة عدة قرون من النظريات التي حيكت لتفسيره، عبر عدد لا بأس به من المنظّرين الذين حاولوا تفسيره، كل على هوى قناعاته وحاجاته وطريقة تفسيره لليهودية. يعتقد البعض أن الصهيونية مختزلة بصهيونية هرتزل، أي الصهيونية العملية الحديثة التي نظّر لها هرتزل ورفاقه، وساروا باتجاه تحقيقها. إلا أن الحقيقة التاريخية تشير إلى أن صهيونية هرتزل ليست إلا واحدة من النظريات بالخصوص. بل هي، إن جازَ القول، خلاصة كل ما سبقها من نظريات، جاءت رداً على المسألة اليهودية في أوروبا، على حدّ ادعاء هرتزل.

جاءت الصهيونية في سياق ثقافي وفكري وتاريخي متنوّع، من نشوء الفكر القومي والمدني الأوروبي الحديث، منذ الثورة الفرنسية، إلى مسألة اليهود واندماجهم في الدول الأوروبية الحديثة وخطاب اللاسامية. فيرى البعض، كيعقوب تالمون، أن الصهيونية جاءت كرد فعل على القومية الحديثة. بينما يرى غيره أنها تحقيق لليوتوبيا اليهودية وعودة اليهود إلى التاريخ. كما ويفسّر آخرون أنها نتاج للتحولات الأوروبية في لحظة تاريخية محددة، أي نتاج حيثيات تاريخية أوروبية ظهرت في مطلع القرن العشرين. وكما يرى إيلان بابيه، أن الصهيونية عند تأسيسها كانت حركة تحاول معالجة مشكلة يهود أوروبا من خلال القومية اليهودية والتجمع في مكان جغرافي واحد، إلا أن الأسلوب الذي تم استخدامه لتحقيق ذلك هو الاستعمار الاستيطاني.

نظّر عدد من المنظّرين للصهيونية، فمنهم من اعتبرها فكرة روحانية وآخرون حصروها في حيّز جغرافي معين. ففي الوقت الذي اعتبر فيه سبينوزا (1632) أن التوراة هو نص إنساني وأن أرض إسرائيل هي شيء روحاني غير متعلق بأرض جغرافية، كان الحاخام يهودا مقلعي (1878-1798) أوّل من دعا إلى الـ«عودة» عام 1843 عبر تنظيم المجتمع اليهودي، بل ودعا إلى شراء الأرض. يتفق موسى هس (1812-1875) مع القلعي بأن الأرض مكوّن أساسي لتجميع اليهود، فرأى أن الإنسان الاجتماعي كالحيوان والنبات، بحاجة إلى تربة حرة ليتطور وينمو فيها. وبدون هذه الأرض الحرة سيبقى طفيلياً بين أمم الأرض ولن يشارك الشعب اليهودي في الحركة التاريخية إلا بوجود وطن أصلي له. بالإضافة إلى هس والقلعي، دعا ليو بينسكر (1821-1891)، في كتابه «التحرر الذاتي» إخوته اليهود إلى العمل واكتساب الوعي. فكان يرى أن اليهود غرباء في البلاد التي وُجدوا فيها وسيبقون ضيوفاً فيها، بل ووصفهم كعنصر غير متجانس موجود بين الشعوب التي يعيش فيها، وليس بالإمكان توقع وجود تكافؤ بين اليهود وباقي الشعوب. إلا أنه اعتبر أن الشعب اليهودي غير مكتمل الشروط لتشكيل أمة وذلك لغياب فكرة «الوجود» المتمثلة في غياب اللغة والأخلاق بالإضافة إلى غياب التواصل المكاني الحقيقي.

في المقابل، رأى أدموند فليغ (1874-1963) أن الوطن القومي اليهودي هو فقط لأولئك اليهود الذين يشعرون بأن لا وطن آخر لهم. بينما اعتبر برنارد لازار (1865-1903)، أن تعبير «أنا قومي» لا تعني أنا إنسان يهودي يسعى لإعادة بناء دولة يهودية في فلسطين ويحلم بفتح القدس، بل «أريد أن أكون إنساناً يتمتع بالحرية التامة» في الأوطان التي وُجد فيها.

كانت أفكار ثيودور هرتزل (1860-1904)، مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة، في بداية عهدها قريبة من أفكار لازار في بداية عهده، حيث اعتبر هرتزل أن المسألة اليهودية هي مسألة اجتماعية في الدرجة الأول وليست قومية أو دينية. بل وإن العداء ضد السامية هو بسبب اليهود أنفسهم، وللتخلص من هذا العداء يجب أن يتخلص اليهود من المزايا التي تثير التعصب ضدهم. وبالتالي الحلّ، بنظره، يكون إمّا بالمحاربة أو بالاندماج والتزاوج. لكن مع نهاية عام 1894، بدأ هرتزل يعتبر العداء للسامية بمثابة ظاهرة جيّدة لتثقيف الخلق اليهودي وتطويره. وفي عام 1895، قام بتسييس المسألة اليهودية التي كان يعتبرها اجتماعية، وتزعّم الدعوة الصهيونية الحديثة. إلى أن صدرت كراسته «الدولة اليهودية» عام 1896، والتي عبّر فيها أن الحل يكمن عبر تأسيس دولة يهودية بالاتفاق الدولي، مع هامش ترك خيار اختيار الأرض لليهود الذين سيقيمون عليها دولتهم، رغم تفضيله لفلسطين.

تجدر الإشارة إلى أنه، حتى وقت الهولوكوست، لم تكن الحركة الصهيونية أكبر حركة قومية يهودية في أوروبا، بل كانت حركة البوند. فهي حركة اشتراكية عمالية يهودية قومية نشأت في التجمعات اليهودية الكثيفة في روسيا، نادت باتحاد العمال اليهود في جميع العالم. من أهم أسسها الإيديولوجية هو المطالبة بحقوق فردية لجميع سكان البلاد، وحقوق جماعية لكل فئة اثنية. حاربتها العديد من البلدان وتعرضت لمحاولات عدة للإطاحة بها من قبل لينين، إلى أن انتهت رسمياً عام 1945. كانت البوند ترى أن الحركة الصهيونية هي نتاج العداء السامي، بل وإنها تتجاوب مع الادعاءات اللاسامية التي تدّعي أن اليهود غرباء.

مرّ الاستيطان اليهودي على أرض فلسطين قبل سايكس بيكو بعدة مراحل. فكانت بدايات الهجرة اليهودية المنظّمة مع «هواة صهيون» أو «أحباء صهيون» التي أُطلقت في بروسيا وبولونيا ورومانيا، وعُرفت بالهجرة اليهودية الأولى بين عامَي 1882 و1904. كانت «أحباء صهيون» حركة عفوية اتجهت بداية نحو أميركا وجزء إلى فلسطين. هدفت إلى خلق مجتمع يهودي جديد يعيش حياة عمل وإنتاج يختلف عن المجتمع اليهودي في المهجر. إلا أن تجربة الاستيطان الأولى التي بدأوها وأكملها روتشيلد لم تحظ بنجاح باهر. فكانت الهجرة الثانية بين عامَي 1904 و1914 التي تُعتبر، بناءً على الرواية الصهيونية، أنها الفترة الحاسمة والمهمة التي خلالها تأسست معالم «اليشوف» وصولاً إلى عام 1948. بدأت الصهيونية بالحضور كحركة إحياء قومي في أوروبا في أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر. ومع نهاية القرن وبداية القرن العشرين، ربط هرتزل ومعظم قادة الحركة الصهيونية هذا الإحياء القومي باستعمار فلسطين. وعلى أثره تم تحويل فكرة «أرض إسرائيل» الموجودة في الديانة اليهودية كقبلة حجّ مقدسة إلى دولة علمانية، أي أن الصهيونية جعلت اليهودية علمانية وقومية، ولأجل تحقيق ذلك، جعل الصهاينة من الأرض التوراتية مهداً لحركتهم القومية الجديدة. وعليه، لم تكن فلسطين في نظر العديد من الصهاينة حتى أرضاً «محتلة»، بل كانت أرضاً خالية من البشر. والسكان الأصليون عبارة عن كائنات غير مرئية، بل وجزء من عقبات الطبيعة التي يجب إزالتها.

ولأجل هذا كله، سيبقى الاستيلاء على الأرض ما بقي المشروع الصهيوني الاستيطاني الإحلالي، الذي اعتبر ولا يزال يعتبر الأصلاني معيقاً طبيعياً وجب التخلّص منه.

الأخبار
al-akhbar
السبت 2 نيسان 2022 العدد 4600

## على الشاشة

# «إذاعة النور»: برمجة رمضانية مطعّمة بالسياسة

**زينب حاوي**

بعدما هيمنت القضايا المعيشية والأزمات الاقتصادية وتداعيات كورونا على البرمجة الرمضانية لـ«إذاعة النور» العام الماضي، تدخل الأخيرة شهر الصوم بسلّة برامجية مختلفة، مطعّمة هذه المرة بالسياسة والتحضير للانتخابات. إذ يحلّ رمضان هذا العام، بصورة مختلفة عن ذي قبل، فتطغى على أجوائه البرامج السياسية، وسط احتدام المعركة الانتخابية، التي تصوّب هذه المرة على المقاومة أكثر من أيّ وقت مضى. ومجاراة لهذا الواقع، تطرح الإذاعة أكثر من عشرة برامج، ضمن شهر الصوم، تراوح ما بين الترفيه والدين والسياسة والاستحقاق النيابي. واللافت هذا العام، إدخال عناصر جديدة إلى البرمجة تتخطى الحوارات السياسية إلى مساحة استقصائية، كما حال برنامج «منظمات غير سيادية» (كل ثلاثاء بعد موجز الثانية ظهراً ـ إعداد وتقديم: ميرنا الزين). يضيء البرنامج الجديد، مع عدد من الباحثين، على ملف المنظمات غير الحكومية، «المتورّطة في مشاريع خارجية»، ويستخدم لغة الأرقام والبيانات، لتبيان مدى زبائنيّتها والتصاقها بجهات سياسية ومالية تهدف

إلى «زعزعة استقرار المجتمعات». كذلك يُضيء على الحملات الدعائية والشعارات «التضليلية» لهذه المنظمات بهدف توعية الرأي العام. أما البرنامج السياسي الثاني المعنون «على امتداد الوطن» (كل خميس بعد موجز الثانية ظهراً ـ إعداد وتقديم: أليسار الحاج يوسف)، فيتمحور حول المفهوم الإنمائي للانتخابات، ويضيء على المشاريع الإنمائية التي أنجزتها المقاومة في مختلف المناطق اللبنانية، بهدف مساعدة أهلها والوقوف إلى جانبهم في الظروف الاقتصادية المتردية، في وقت تتقاعس فيه الدولة عن تقديم هذه الخدمات. يركز البرنامج الثالث «قانون الانتخابات» (كل إثنين بعد موجز الثالثة عصراً ـ إعداد وتقديم جنان شحادة)، على قانون الانتخاب، وآلية الاقتراع، مع عدد من المختصّين والمحامين. وللمقاومة حضور لافت في البرمجة الرمضانية على «إذاعة النور»، إذ يحدثنا برنامج «حكايا الضوء» (كل إثنين عند الساعة التاسعة والنصف ـ إعداد وتقديم عدي الموسوي) عن كيفية مواكبة العمل الإعلامي لانطلاقة المقاومة، الذي بدأ كمبادرات فردية، وتوسع ليطال لاحقاً الإعلام الجماهيري والميداني، وكيفية إفادته من الفنون البصرية والإعلام المكتوب والمسموع والمرئي. أما «حروف العز» (كل ثلاثاء بعد موجز العاشرة مساء ـ إعداد وتقديم ميرنا الزين)، فيجمع بدوره قصصاً وشواهد عن محطات لافتة في مسيرة المقاومة منذ الانطلاقة في الثمانينيات، مروراً بزخم العمليات النوعية في التسعينيات وصولاً إلى زمن التحرير (2000). يحرص البرنامج على توثيق هذه الذاكرة في جمعه بين المقاومين والإعلاميّين الرواة لتاريخ المقاومة. وسط هذا الزخم السياسي والتوثيقي، تحضر على الإذاعة برامج تحاكي روحانية الصوم، وتأملاته والتعاضد الاجتماعي في زمن الانهيار («نعمة كريم»، و«شذى الروح»، و«بكل محبة») إضافة إلى مساحة ترفيهية تنافسية مع برنامج «شو الصح؟» (إعداد أحمد ترمس ـ من الإثنين إلى الجمعة 9:50).

## المفكرة

### الأرض بتتكلّم مقاومة

■ تتواصل فعاليات «أسبوع مقاومة الاستعمار ويوم الأرض» الذي انطلق أمس في «النادي الثقافي الفلسطيني» في «الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت» مع ندوة رقمية تناولت «مقاومة التطبيع الثقافي والأكاديمي والفني»، تلتها ندوة عن «التحيّز الإعلامي من أوكرانيا إلى فلسطين» (غرتشان كينغ). ويُخصّص يوم الإثنين لعرض فيلم «خيوط السرد» (stitching Palestine ـ 17:00 ـ إخراج كارول منصور) الذي يتناول قصة 12 امرأة فلسطينية مسنّة، ويضيء على حيواتهن قبل الشتات عبر خيط درامي واحد يجمعهن ألا وهو التطريز. إنّها عملية دمج ما بين قصة الوطن والحرمان من الحرية والإيمان بأن العدالة ستسود في نهاية المطاف. وفي السادس من الشهر الحالي، تقام ندوة «المقاطعة الأكاديمية والثقافية كوسيلة دفاع عن حرية التعبير ودعم التحرير» (17:00)، تشارك فيها العضوة في «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل في لبنان» عفيفة كركي، على أن يُفتتح معرض «لا تصالح ـ المجازر الإسرائيلية من فلسطين إلى لبنان»، ومعرض آخر للكاريكاتوريست أحمد قدورة. وفي السابع من الشهر الحالي، يفتتح المخرج اللبناني أديب فرحات، ورشة حول تحرير «ويكيبيديا»، و«مقاومة الصهيونية في المجال الرقمي». على أن تقدم «فرقة جفرا» عرضاً راقصاً في الدبكة والغناء. وتُختتم الفعاليات بندوة عن «تفكيك السينما والإنتاج الإسرائيلي» يتولاها خضر سلامة (11 نيسان ـ س:16:00). يُذكر أن الفعّاليات ستُبث مباشرة عبر صفحات «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل في لبنان» على وسائل التواصل الاجتماعي، على أن يُدشن بعد ذلك عالمياً «أسبوع مقاومة الاستعمار والأبارتهايد» في 11 الشهر الحالي، ويُعتزم في هذه النسخة الإضاءة على دور الثقافة والمعرفة والفن في سبيل التحرر من الاستحواذ الثقافي والفكري، الى جانب استكشاف التقاطعات ما بين النضال التحرري الفلسطيني والنضال العالمي.

**«أسبوع مقاومة الاستعمار ويوم الأرض»: حتى 11 نيسان (أبريل) . «النادي الثقافي الفلسطيني» في جامعة LAU (بيروت) . للاستعلام: 03/747264**

### جائزة محمود كحيل: هؤلاء المُتوّجون

■ تزامناً مع احتضان «دار النمر للفن والثقافة» معرضاً يضم 120 عملاً تمثل مختلف فنون الكاريكاتور والشرائط المصوّرة، أُعلن أول من أمس عن الفائزين بـ «جائزة محمود كحيل» التي تمنحها «مبادرة معتز ورادا الصواف للشرائط المصوّرة» في الجامعة الأميركية في بيروت في

دورتها السابعة. كما أطلقت المبادرة كتابها السنوي الذي يضمّ 150 رسمة ونصاً للفائزين وهم: الأردني أحمد الخطيب الذي حصل على جائزة الكاريكاتور السياسي. وكانت جائزة الروايات التصويرية، من نصيب برّاق ريما (لبنان) عن رواية «بالتاكسي»، فيما حاز المصري محمد صلاح جائزة الشرائط المصوّرة. ونالت اللبنانية كارين كيروز جائزة الرسوم التصويرية، وذهبت جائزة رسوم كتب الأطفال إلى كتاب «مطاردة» للفلسطينية براء أحمد إسماعيل العاوو (الصورة). كذلك كرّمت الجائزة التشكيلي العراقي علي مندلاوي والصحافي جهاد الخازن ومشروع «سكف كف» من المغرب.

### «نور» المعرفة متاح للعموم

■ بعد مرور ثلاثة عقود على تأسيس «نور ـ جمعية المرأة العربية» بدعم من «مركز دراسات الوحدة العربية»، أعلن المركز عن إتاحته منشورات الجمعية من كتب ومجلات مجاناً للقراء والمهتمين بقضايا المرأة العربية. منذ تسعينيات القرن الماضي لغاية 2020، نشرت «نور»، في مركزَيها في القاهرة وفي بيروت، كتباً في العلوم الاجتماعية والأدب والنقد والصحة. وتتألف المنشورات المتاحة من 15 كتاباً، وموسوعة في أربعة مجلدات تتضمّن 11 دراسة ومنتخبات لـ 212 كاتبة، وببليوغرافيا لـ 1141 كاتبة، إلى جانب 22 عدداً من نشرة «نور» الفصلية المتخصّصة في مراجعات كتب ومجلات المرأة العربية. علماً أنّها تتضمّن حوالي 650 مراجعة أو تعريفاً مختصراً.

**المحتوى متوافر من خلال موقع الجمعية:**
caus.org.lb/ar/nour-arab-women

## نزيه أبو عفش

### يوميات ناقصة

### لأنهم يحبّونَك...

بِحُجّةِ البطولة
يُلقونكَ في قاعِ الجحيم عارياً،
عارياً وأعزل، ويقولون لك:
لأنّ البطولةَ ضروريّةٌ وهيّنةْ
كُنِ البطلَ الذي يليقُ بأحلامِ
مَن إئتَمَنوكَ على أمجادِهم،
وَتَدَبَّر أمرَ قيامتِك!...
وبِحُجّة المجاعة، المجاعةِ التي
أوقَعتَ نفسكَ فيها أيها الأبله،
يمنحونكَ نِصفَ ما تستحقُّ
مِن رغيفِ جوعكَ وكَفافِ
حسرتِك.
وفيما هم يُناولونكَ نِصفَ
الكَفاف
يَختلسون نِصفَهُ كَـ «بَدَلِ
أتعابٍ» للضّواري التي عَفَّت
عنه
واللُّصوصِ الذين تَجَشّموا
عناءَ حراستِه.
فقط لأنهم يثقون بكفاءتِك
ويُحبّونك.

### ... وبِلادي مَنفاي

أنا لقيطُ بلادي، ونَزيلُ
كوابيسِها.
أَتَشَرّدُ، داخلَ جَبّاناتِها، بين
مُلتَجأٍ ومُلتَجأ
وأزعمُ أنني صالحٌ للحياة.
ومثلما يغرسُ القراصنةُ
أعلامَهم ويقولون: «هذه
بلادُنا»
سأغرسُ، حيثما حلَلتُ، ما
حملتُ مِن بذورِ بلادي وبَتلاتِ
أزهارِها.
وحيث تَطلعُ أوّلُ زهرةٍ سأقولُ:
«هو ذا مسقطُ رأسي»
وأجعلُهُ موطناً لي.
..
أنا اللّقيطُ الذي بِلادُهُ منفاهُ
وزهرتُه.
أنا الذي: الأزهارُ عَلَمي،
والدمعةُ نَشيدي.
أنا الميّتُ الصالحُ للحياة.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن
شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
03 / 828381 ـ 01 /666314ـ15
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

ملحق خاص
www.al-akhbar.com
الأخبار
al-akhbar
السبت 2 نيسان 2022 العدد 4600

# دليل ليالي رمضان 2022

نسرين طافش وسلوم حداد في «جوقة عزيزة»

رمضان 2022 محطّة مفصلية على أكثر من صعيد. في لبنان، تبدو الدراما كأنّها تلفظ أنفاسها الأخيرة. القنوات المحلية منشغلة هذه السنة بالانتخابات النيابية المنتظرة في أيار (مايو)، فوضعت الدراما في آخر سلّم أولوياتها، خصوصاً متى عرفنا أنّ الاستحقاق الانتخابي يشكّل مصدراً مالياً لا يستهان به لهذه المنابر في مقابل الـ Fresh dollar الذي تتطلّبه الإنتاجات الدرامية.

نكبة إضافية تُصيب هذه الصناعة بعد الامتحانات الكثيرة التي مرّت بها خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، ما أدّى إلى تراجع إنتاجها بشكل لافت وسط حضور الدراما التركية المدبلجة إلى اللهجة السورية. التظاهرات التي عمّت لبنان في خريف 2019 وانتشار فيروس كورونا ولاحقاً ارتفاع سعر الدولار مقابل الليرة اللبنانية والأزمة المالية والاقتصادية، كلّها عوامل أصابت الدراما المحلية في مقتل. وبينما كانت المسلسلات المشتركة متنفّساً للعاملين والفنانين اللبنانيين، إذ بها موضة بالية وخارج الحسابات الرمضانية بسبب عوامل عدة على رأسها توجّه شركات الإنتاج إلى المنصات الإلكترونية حيث تُعرض المسلسلات القصيرة على مدار العام.
إذ قرّر رأس المال الخليجي الذي يملك معظم الفضائيات والمنصّات، أن يخصّص شهر الصوم حصراً للإنتاجات الخليجية والمصرية، وتنكيهها بالدراما السورية. هكذا، راحت شركات الإنتاج اللبنانية والعربية، على السواء، تتنافس لتقديم مسلسلات خليجية، بناءً على طلب المحطات والمنصّات. عمليّة خلط أوراق يشهدها رمضان 2022، ستتجلّى ملامحها بشكل واضح في العام المقبل.

إعداد **زكية الديراني**

# الانتخابات تصيب الدراما اللبنانيّة في مقتل!

«صيبة عين»، هكذا يصف أحد العاملين في شركة إنتاج لبنانية الوضع الذي آلت إليه الصناعة الدرامية، والتدهور الذي شهدته في السنوات الأخيرة. يوضح أنّ المشاريع الدرامية المحلية كانت تسيطر على الشاشات اللبنانية طيلة العام من دون إجازة أو توقّف، حتى إنّه كانت هناك مآخذ وانتقادات طالبت بوقفها بسبب تكرارها مواضيع الحب والغرام والخيانة. لكنّ المسلسلات اللبنانية ما عادت تعيش تلك الفورة التي أصابتها في السنوات العشر الماضية، بل إنّها تشهد تدهوراً كبيراً في صناعتها والترويج لها وبيعها، حتى باتت «عملة نادرة».
على مدار ثلاثة أعوام متتالية، تعرّضت الدراما اللبنانية لضربات موجعة أدّت إلى تراجع إنتاجها بشكل لافت وسط سيطرة الدراما المشتركة التي تُعرض على المنصات الإلكترونية، وحضور الدراما التركية المدبلجة إلى اللهجة السورية. التظاهرات التي عمّت لبنان في خريف 2019 وانتشار فيروس كورونا ولاحقاً ارتفاع سعر الدولار مقابل الليرة اللبنانية والأزمة المالية والاقتصادية، كلّها عوامل أصابت الدراما في مقتل.
في عام 2019، شهدت الدراما المحلية تراجعاً بسبب الحراك الشعبي الذي عمّ المناطق اللبنانية، فتعطّل تصوير العديد من المسلسلات. وسرعان ما تلقّت ضربة أخرى تمثّلت في كورونا الذي جمّد السوق، فتوقفت الكاميرات عن العمل. لم تقتصر المشاكل على ذلك، فارتفاع سعر الدولار مقابل الليرة اللبنانية، كان عنصراً حاسماً في «تدمير» تلك الصناعة، حتى اختفت تدريجاً عن القنوات المحلية، إذ وجد المنتجون أنفسهم مكبّلي الأيدي أمام أزمة مالية حادّة، سببها احتجاز الودائع في المصارف اللبنانية، والحركة الجنونية التي عرفها الدولار مقابل الليرة. هكذا، تضامنت الأزمات المتلاحقة ضد الدراما اللبنانية، فوُلد بعضها عسيراً على الشاشة، والبعض الآخر توقّف كلياً عن العمل مستسلماً للوضع الراهن.
مع حلول رمضان 2022، بدأ التساؤل عن المسلسلات اللبنانية التي سيتابعها المشاهد. سؤال يمكن الإجابة عليه بعبارة واحدة: لا دراما لبنانية هذا العام، باستثناء أعمال لا يبلغ عددها أصابع اليد الواحدة. هذه باختصار حال المسلسلات التي تغيب تقريباً عن القنوات هذا العام بسبب العوامل المذكورة آنفاً، إلى جانب سيطرة البرامج السياسية على المحطات المحلية بسبب بدء العدّ العكسي للانتخابات النيابية المتوقّعة في شهر أيار (مايو) المقبل. في جولة سريعة على القنوات اللبنانية، يتّضح أنّها استغنت بشكل شبه كلي عن المسلسلات اللبنانية، بدءاً من الخريف الماضي. فقد اكتفت بإعادة عرض مشاريع لبنانية قديمة سحبتها من الأرشيف، أو بثّ مسلسل أو اثنين فقط، في خطوة تمهيدية لتكون الخريطة الدرامية في رمضان خالية من الدراما.
في هذا السياق، تخوض mtv السباق الدرامي بعملين لبنانيين: «للموت 2» (نادين جابر وإخراج فيليب أسمر وإنتاج «إيغل فيلمز») الذي يجمع دانييلا رحمة وماغي بوغصن وباسم مغنية وبديع أبو شقرا وكارمن لبس وليليان نمري وغيرهما. يتابع المسلسل قصة سحر (ماغي بوغصن) وريم (دانييلا رحمة) بين ماضيهما الحزين وحاضرهما الذي تستغلان فيه الرجال. المسلسل ليس لبنانياً خالصاً، بل يمكن وصفه بالمشترك، إذ يحضر فيه النجم محمد الأحمد الذي يلعب أحد أدوار البطولة، علماً أنّه شارك أيضاً في موسمه الأول. كذلك، تعرض المحطة المسلسل اللبناني «وإلتقينا» (كتابة غادة كلاس وإخراج مكرم الريّس) الذي ينتجه مروان حداد صاحب شركة «مروى غروب» ويجمع كلاً من نوال بري وميشال حوراني وغيرهما.

> تخوض lbci المنافسة بالتركي والسوري

نوال بري وميشال حوراني في «والتقينا»

يكشف حداد لنا أنّ المسلسل لبناني يُلقي الضوء على الأحداث السياسية والاقتصادية والأمنية التي عاشها لبنان في السنوات الثلاث الأخيرة، أي منذ الحراك الشعبي في خريف 2019. ويروي قصص مواطنين يواجهون تلك الصراعات، مع قصة حب أيضاً تعكس تلك القضايا. ويوضح أنّ المسلسل يطرح قضايا الفساد والثورة في 30 حلقة. يكتفي حداد بعمل رمضاني واحد تعرضه mtv، بعدما كان في السابق يحضر بأكثر من عمل.
من جانبها، بدأت «الجديد» السباق الدرامي اللبناني من خلال «الزمن الضائع» (كتابة غابي مرعب وإخراج ماريانا صقر) الذي ينتجه إيلي معلوف. قبل أيام، بدأت الشاشة اللبنانية عرض العمل الذي يجمع باقة من الممثلين اللبنانيين من بينهم: جو صادر، جوي الهاني، فادي إبراهيم، أسعد رشدان، هيام أبو شديد، حسين فنيش وجويل فرن. شهد المسلسل مطبّات عدة قبل ولادته، وتوقف تصويره مرات عدة بسبب كورونا، قبل أن يقرر صُناعه تقديمه في شهر رمضان.
على الضفة نفسها، يشير المنتج إيلي معلوف في حوار سريع معنا، إلى أنه حاضر بمسلسل واحد في شهر الصوم، لكنه يصوّر حالياً ثلاثة مسلسلات لبنانية دفعة واحدة. ويوضح المنتج بأنه كان متوقّعاً أن يتعاون مع lbci بعمل لبناني في رمضان، ولكنّ التصوير تعرقل بسبب كورونا، ما حال دون إتمام تلك المهمة. بالتالي غابت إنتاجاته عن الشاشة التي يديرها بيار الضاهر.
من هذا المنطلق، لن تعرض lbci أيّ مسلسل لبناني جديد، بل ستعرض أعمالاً من الأرشيف. على أن تخوض السباق الرمضاني بالمسلسل السوري «كسر عضم»، إلى جانب المسلسل التركي «علي رضا». وتلفت المعلومات إلى أن المحطة تركز على السياسة في شهر الصوم، ولم تعد تعطي أولوية للدراما اللبنانية كما كان يحصل في الأعوام السابقة بسبب الكلفة المادية لتلك المشاريع، إلى درجة أنّ برمجتها الخريفية تغيب عنها تلك المشاريع، وتعيد عرض أعمالها القديمة عشرات المرات.
كعادتها، تخصص «المنار» مساحة للدراما اللبنانية، من خلال عمل يحاكي المجتمع اللبناني مع ربطه بقضية الصراع مع العدو الإسرائيلي. في رمضان، تعرض «المنار» يومياً مسلسل «ظل المطر» (كتابة فتح الله عمر وإخراج شادي زيدان) الذي تنتجه الشاشة المحلية. تدور أحداث المسلسل بين عامَي 2019 و2020، ويتناول محاولات الولايات المتحدة والعدو الإسرائيلي المتواصلة لتطويق المقاومة إعلامياً بهدف إسقاطها شعبياً. وتضم قائمة أبطال العمل كلاً من أحمد الزين، وحسن فرحات، وسارة قصير، وربيع الحاج، وزينب إسماعيل، وإياد نور الدين، وآلان الزغبي، وحسن حمدان، وسهير ناصر الدين وغيرهم.
على الضفة نفسها، تغيب الدراما اللبنانية عن otv وتحل مكانها البرامج السياسية المخصّصة للانتخابات. كذلك الحال بالنسبة إلى nbn التي تغيب عنها المسلسلات اللبنانية، فيما ستعرض الموسم الأول من المسلسل السوري «بروكار»، والجزء الجديد من «باب الحارة».
باختصار، تصوم القنوات المحلية عن الدراما اللبنانية، في خطوة لا تبشّر بالخير لهذه الصناعة التي تشغّل مئات العاملين من تقنيين ومخرجين وممثلين، وجدوا أنفسهم أمام مصير مجهول.



# المسلسلات المشتركة تتنفّس «بطلوع الروح»

عاشت الدراما المشتركة «عزّاً» كبيراً خلال السنوات الماضية، حتى أطاحت بالمسلسلات اللبنانية. كانت تلك الصناعة الأحبّ على قلب المنتجين اللبنانيين بسبب سهولة تسويقها وبيعها، فراحوا يتسابقون على التعاقد مع نجوم لبنانيين وسوريين معروفين. استمرّت هذه الموضة التي خُصّصت لها ميزانيات ضخمة جعلت بعض الممثلين نجوم صفّ أول.
بعد سنوات من الدلال والرخاء، يشهد الموسم الرمضاني الحالي غياباً لافتاً للمسلسلات المشتركة بسبب عوامل عدة، على رأسها توجّه شركات الإنتاج إلى المنصات الإلكترونية حيث تُعرض المسلسلات القصيرة على مدار العام.
كان يُفترض لشركة «صبّاح إخوان»، التي كانت تصرّ على الدراما المشتركة في كل موسم رمضاني، أن تخوض المنافسة بمسلسلين مشتركين: الأول «من... إلى» (تأليف بلال شحادات. إخراج مجدي سميري) الذي يجمع السوري قصي خولي واللبنانية فاليري أبو شقرا. أما العمل الثاني، فهو «بيروت 303» (كتابة سيف رضا حامد وإخراج إيلي السمعان) الذي يضمّ عابد فهد وسلافة معمار ومعتصم النهار، وممثلين لبنانيين. كان كل شيء يسير على ما يُرام، إلى أن خرج بيان «الصبّاح» ليعلن عن خريطتها الدرامية الخالية من المسلسلين اللذين تأجّلا لما بعد عيد الفطر. هكذا، اكتفت الشركة بالمسلسل المشترك «بطلوع الروح» (تأليف محمد هشام عبية، ـ إخراج كاملة أبو ذكرى ـ mbc) الذي يجمع مصريين ولبنانيين من بينهم منة شلبي، إلهام شاهين، أحمد السعدني، محمد حاتم، وعادل كرم، ديامان بو عبود. العمل الذي صوّر في لبنان، يروي قصة امرأة تصحو لتجد نفسها في مكان غريب، وتكتشف أن زوجها استدرجها إلى أحد مراكز عمليات «داعش»، فتضطر لمواجهة الحياة الجديدة.
من جانبها، تحضر «إيغل فيلمز» (جمال سنان) بمسلسل مشترك واحد هو «للموت 2» (كتابة نادين جابر. إخراج فيليب أسمر ـ mtv ـ تطبيق «شاهد» ـ mbc) الذي يجمع دانييلا رحمة، وماغي بو غصن، وباسم مغنية، والسوري محمد الأحمد. العمل سيكون تكملة للجزء الأول الذي بُثّ في شهر الصوم الماضي. لا يعتبر قرار «إيغل فيلمز» لتجد نفسها في مكان غريب، وتكتشف أن زوجها استدرجها إلى أحد مراكز عمليات «داعش»، فتضطر لمواجهة الحياة الجديدة.
من جانبها، تحضر «إيغل فيلمز» (جمال سنان) بمسلسل مشترك واحد هو «للموت 2» (كتابة نادين جابر. إخراج فيليب أسمر ـ mtv ـ تطبيق «شاهد» ـ mbc) الذي يجمع دانييلا رحمة، وماغي بو غصن، وباسم مغنية، والسوري محمد الأحمد. العمل سيكون تكملة للجزء الأول الذي بُثّ في شهر الصوم الماضي. لا يعتبر قرار «إيغل فيلمز» بخوض السباق الرمضاني بعمل واحد مشترك، أمراً مفاجئاً، بل إنّها اعتمدت تلك الخطة في السنوات الماضية. هكذا، تكتفي بعمل «يتيم» وتركّز كل جهودها على صناعة الدراما الخليجية.
ومن المعروف أن «إيغل فيلمز» و«صباح إخوان»، تتعاقدان مع تطبيق «شاهد» (المنضوي تحت شبكة mbc) لعرض مشاريعهما بشكل حصري. وتنفّذ الشركتان مطالب الشبكة السعودية أكان من ناحية عدد المشاريع أو محتواها.
من هذا المنطلق، قرر السعوديون هذا العام خوض السباق بأقل عدد من الأعمال المشتركة بين اللبنانيين والسوريين، في مقابل التركيز على الدراما المصرية والخليجية على أنواعها. فقد أعطى القائمون على «شاهد» أولوية للمشاريع الخليجية وتحديداً السعودية وسط فورة فنية لا مثيل لها تشهدها الرياض.
هكذا، ارتأى صنّاع الدراما تحويل «شاهد» إلى مركز لعرض المسلسلات المشتركة بين اللبنانيين والسوريين طيلة العام، في حين أنّ شهر الصوم مخصّص للأعمال السعودية والمصرية لأن الموسم الرمضاني يعتبر الأهم بالنسبة إلى المنتجين.
من جهته، قرّر المنتج مفيد الرفاعي صاحب شركة Media Revolution 7 إعادة الحياة إلى مسلسل «ظلّ» (تأليف زهير رامي الملا ـ إخراج محمود كامل/ بالشراكة مع Gold Touch Production ـــ «شاهد» و«روتانا دراما» و«أبو ظبي» و lbc)

> شهر الصوم على «شاهد» مخصّص للأعمال الخليجية والمصرية

الهام شاهين في «بطلوع الروح»

بعدما توقف تصويره العام الماضي بسبب كورونا. العمل شهد تغييراً جذرياً عليه تمثّل في خروج النجم باسل خياط والتحاق النجمين جمال سليمان وعبدالمنعم عمايري به، إضافة إلى ممثلين لبنانيين من بينهم جيسي عبده ويوسف الخال وأنجو ريحان.
باختصار، هذا العام تشهد الخريطة الدرامية تغيرات لافتة، لا تكتفي بتغييب الدراما اللبنانية، بل أيضاً بحضور خجول للدراما المشتركة. على أن تتضح نتائج هذا التغيير بعد انتهاء السباق الرمضاني.

# «عاصوف» (درامي) يهبّ على الخليج!

في مقابل تراجع المسلسلات المشتركة واللبنانية في رمضان، كان لافتاً حضور الأعمال الخليجية التي تتنوّع بين اجتماعي وتاريخي وكوميدي، إذ قرّر الخليجيون تعزيز حضورهم في البرامج الفنية والترفيهية، ومُنحت الدراما حصة كبيرة من الميزانية. وعليه، راحت شركات الإنتاج اللبنانية والعربية أيضاً تتسابق لتقديم مسلسلات خليجية، بناءً على طلب المحطات والمنصّات. في هذا الموسم، خصصت شبكة mbc (ضمنها تطبيق «شاهد») مساحة كبيرة للمسلسلات الخليجية على رأسها «العاصوف» (إخراج المثنى صبح وإنتاج mbc) بجزئه الثالث. بعد موسمين من العمل (بطولة ناصر القصبي، عبد الإله السناني، حبيب الحبيب، ريم عبدالله، ليلى السلمان...) الذي يقارب التغيّرات الاجتماعية والسياسية في المملكة بدءاً من سبعينيات القرن الماضي، يصل «العاصوف 3» إلى تسعينيات القرن الماضي. يستعيد الموسم الثالث التغيّرات الاجتماعية والسياسية في المملكة في تلك الحقبة. كذلك، تعرض mbc مسلسل «من شارع الهرم إلى» (كتابة هبة مشاري حمادة ـ إخراج المثنى صبح) الذي تلعب بطولته الكويتية هدى حسين. المسلسل اجتماعي، أثار ضجّة عند عرض بروموه الترويجي الذي يتحدّث عن عائلة كويتية تنقلب حياتها رأساً على عقب حين يتعرف الزوج إلى راقصة مصرية. وكان البرومو قد أثار جدلاً كبيراً، بعدما شنّ ناشطون مصريون حملة عليه بسبب نظرته التنميطية إلى المرأة المصرية. كذلك، تخوض mbc السباق في «أمينة حاف» (كتابة علي الدوخان ـ إخراج محمد عبد العزيز الطوالة) للممثلة إلهام الفضالة، شهاب جوهر، طيف، فهد باسم، بدرية طلبة وصمود.

ناصر القصبي يتوسط ليلى سلمان وأمينة العلي في مشهد من «العاصوف 3»

من جانبها، تطل الفنانة المخضرمة سعاد عبدالله في بطولة مسلسل «ناطحة سحاب» (كتابة نوف المضف ـ إخراج عيسى ذياب ـ «دبي» و mbc) الذي يعكس قصة امرأة عنيدة ومصممة.
على الضفة نفسها، تعرض mbc «بيبي» (تأليف أحمد العوضي ـ إخراج محمد سمير) الذي أنتجته شركة «إيغل فيلمز» التي يديرها اللبناني جمال سلمان، ويجمع كلاً من: شجون، بشار الشطي، لياء طارق وغدير السبتي. المسلسل اجتماعي، يروي قصة فتاة تعاني من إعاقة ذهنية.
لا يختلف وضع قناة «دبي»، إذ تعرض الشبكة الإماراتية (على جميع قنواتها) باقة من المسلسلات على رأسها «سنوات الجريش» (تأليف محمّد النابلسي ـ إخراج مناف عبدالله) الذي تلعب بطولته الممثلة الكويتية حياة الفهد. تدور أحداثه خلال الحرب العالمية الثانية، لينقل الجوانب الإنسانية لهذه التحوّلات السياسية ضمن أسلوب درامي شيّق.
كذلك تتشارك «دبي» مع mbc في عرض «ناطحة السحاب». كذلك، تعرض الشبكة الاماراتية مسلسل «عاشر صفحة» (تأليف علي الدوخان ـ إخراج محمد الطواله) الاجتماعي الذي يجمع كلاً من البحرينية زهرة عرفات، الكويتي عبدالله التركماني، نور، حصة النبهان وشهد سلمان.
وعلى قناة «أبو ظبي» (ينضوي تحتها تطبيق ADTV) أكثر من 11 مسلسلاً من بينها «محمد علي رود 2» (إخراج جاسم المهنا) الذي يتناول قيم الصداقة والوفاء والأمانة، وهو من بطولة خالد أمين وسعد فرج وبثينة الرئيسي وفيصل العميري. تواصل الشبكة الإماراتية عرض المسلسلات من بينها «عائلة عبد الحميد حافظ» (إخراج هيا عبد السلام وسعود بوعبيد ـــ قصة عبد الحميد السرحان). يروي العمل قصة رجل شغوف بصوت الفنان المصري الراحل عبد الحليم حافظ، يقرر، على عتبة الستين، تحقيق حلمه بدخول عالم الغناء. أخيراً، تعرض «أبو ظبي» مسلسل «الزقوم» (إخراج أحمد المقلة) الذي يجمع نخبة من نجوم الصف الأول من بينهم سعد الفرج، قحطان القحطاني وهيفاء حسين.
ولمحبّي الكوميديا تعرض «أبو ظبي» مسلسل «كيد الحريم» الذي تشارك فيه المصرية روجينا، جاسم النبهان، عبد الإمام عبدالله وهنادي الكندري. تدور أحداثه في إطار كوميدي حول امرأة مطلّقة يتقدم لخطبتها شخصان، فتختار أحدهما لكنه يفارق الحياة بعد يوم الزفاف فترثه.
من جانبها، خصّصت قناة sbc السعودية باقة من مسلسلاتها الرمضانية، مانحة مساحة لافتة للدراما المصرية، إلى جانب الأعمال الخليجية من بينها المسلسل الاجتماعي «نوح العين» (تأليف جمال الصقر ـ إخراج مصطفى رشيد).

> تلعب الكويتية هدى حسين بطولة «من شارع الهرم إلى»

فورة درامية تعيشها مصر منذ سنوات، رغم كلّ المآخذ التي يمكن التوقّف عندها، خصوصاً في ما يتعلّق بالخطوط الحمر والرقابة والقبضة الأمنية المحكمة على هذه الصناعة. في مقابل تعثّر الدراما السورية التي تتحدّى نفسها كلّ عام، محاولةً استعادة عافيتها في بلد يشهد مختلف أنواع الانهيارات، تشهد الصناعة المصرية زخماً كمّياً ونوعياً. هذه السنة، تراجع عدد الإنتاجات الاجتماعية، لكنّها تظلّ وجبة محبّبة للمشاهدين الذين يعرفون أن القضايا الاجتماعية كانت ماركة هذه الصناعة المحبوبة عربياً بدءاً من الفقر وتجارة المخدرات ومعاناة النساء والفساد.
إذ يترقّب الجمهور مسلسل «فاتن أمل حربي» الذي كتبه الصحافي الإشكالي ابراهيم عيسى عن قضية منح الحضانة للمرأة المطلّقة. لا نعرف إلى أي مدى سيشتبك عيسى مع المنظومة، إلا أنّ العمل يعد بالكثير، خصوصاً أنّ بطلته نيللي كريم المعروفة برفعها لواء القضايا الاجتماعية. ويخيّم طيف الراحل أسامة أنور عكاشة على الموسم من خلال مسلسل «راجعين يا هوى» الذي يؤدي بطولته يطل خالد النبوي. وبعدما تراجعت المسلسلات الكوميدية خلال المواسم الماضية لأسباب عدة على رأسها ضعف الكتابة، واعتماد أبطالها على الارتجال والتهريج السخيف، وتكرار «الإفيهات»، ها هي تستعيد عافيتها في رمضان 2022. في مقابل غياب عادل إمام ويحيى الفخراني، يسجّل هذا الموسم عودة أحد كبار الكوميديانات وهو أحمد مكي في «الكبير أوي 6»، إلى جانب أكرم حسني ومصطفى شعبان، في ظلّ طغيان البطولات النسائية مع يسرا التي تخلع عباءة الميلودراما لتستسلم للضحك.

إعداد **شيماء سليم**

# الدراما المصريّة الاجتماعيّة: حبّ وخيانة و«داعش»

يلعب النجم المصري خالد النبوي بطولة مسلسل «راجعين يا هوى»

قبل أيام من حلول شهر رمضان، أصدر «المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام» في مصر لائحة «ضوابط» على المسلسلات التي ستُعرض على القنوات المصرية. ضمن بيان ضمّ 13 بنداً تحت عنوان «ضوابط مشدّدة للمسلسلات الرمضانية»، رأى أعضاء الهيئة التي تضمّ صحافيين وإعلاميين، أنه يجب «إفساح المجال لمعالجة الموضوعات المرتبطة بالدور المجيد والشجاع الذي يقوم به أفراد المؤسسة العسكرية ورجال الشرطة في الدفاع عن الوطن»!
توقيت البيان طريف، إذ تمّ بالفعل تصوير معظم الأعمال التي ستُعرض على برامج القنوات والمنصات، ولم يعد ممكناً التقيّد بهذه التوجيهات؛ يضاف إلى ذلك، أنه توجيه لا يحتاج إليه أحد، بخاصة أنّ شركة «سينرجي» المسؤولة عن إنتاج المسلسلات والمالكة للحيّز الأكبر من الفضائيات المصرية، تقوم بدورها على أكمل وجه منذ ثلاث سنوات.
كان عام 2020، نوعاً من جسّ نبض الشارع المصري في تقبّل هذه النوعيات. يومها، عُرض «الاختيار» (تأليف باهر دويدار وإخراج بيتر ميمي) الذي رصد حكاية أحد شهداء القوات المسلحة الأكثر شعبية وهو أحمد المنسي. حقّق المسلسل نجاحاً وتأثيراً باهرين، شجّع الشركة المنتجة على عمل جزء ثان، في العام التالي. تميّز الجزءان بحرفية إخراجهما على يد بيتر ميمي، وكتابتهما الدرامية المتقنة، ومزج التمثيلي بالتوثيقي ببراعة، بالإضافة إلى كونهما يرويان أحداثاً وشخصيات عايشها المشاهدون وسمعوا عنها. نال الجزء الثاني من «الاختيار» نجاحاً لا يقلّ عن الأول، ويبدو أن منتجي العمل وصنّاعه أدركوا ذلك باكراً، فقد أعلنوا في رمضان الماضي أنهم في صدد صنع الجزء الثالث من المسلسل لرمضان 2022. ربما يكون «الاختيار 3» (ON - «ART حكايات»، - «شاهد») مختلفاً عن سابقيه. فالقراءات الأولى توضح أنه يشير إلى دور جهاز المخابرات في الأحداث التي عاشها المصريون في السنوات الأخيرة، لذلك تمّت الاستعانة بالنجم أحمد عز كبطل رئيس. وكان عزّ قد لعب بطولة «هجمة مرتدة» (تأليف باهر دويدار وإخراج أحمد علاء الديب - رمضان 2021) الذي تناول دور المخابرات أثناء «ثورة 25 يناير» 2011.
من ناحية ثانية، نُفّذ جزء جديد من المسلسل تحت عنوان «العائدون» (تأليف باهر دويدار - إخراج أحمد نادر جلال - DMC - «دبي» - «ART حكايات» - «رؤيا» - Watch It - «شاهد») يشير إلى الداعشيين والجماعات المتطرفة الأخرى الذين عادوا بكثافة إلى مصر في عهد حكم «الإخوان المسلمين». يتناول العمل دور جهاز المخابرات في الأحداث التي وقعت في مصر إبان حكم الإخوان من محاولات ومخطّطات سرية لنشر تنظيم القاعدة في مصر والعالم العربي. يلعب بطولة المسلسل هذه المرة أمير كرارة، الذي أدى بطولة «الاختيار 1» في تبادل للمواقع شبيه بلعبة الكراسي الموسيقية بين أحمد عزّ وأمير كرارة.
على الضفة الأخرى، تضمّن بيان «المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام» لائحة طويلة من «الممنوعات» للمسلسلات الاجتماعية، من بينها تجنّب مشاهد التدخين وتعاطي المخدرات، وخلو الأعمال من العنف غير المبرر، وعدم اللجوء إلى «الألفاظ البذيئة، والالتزام بالكود الأخلاقي». لائحة المطالب من شأنها تضييق الحريات على المشاريع الاجتماعية التي تجد نفسها مكبّلة أمام العديد من الضوابط.
رغم تراجع عدد المسلسلات المصرية الاجتماعية في رمضان والتركيز على الكوميدي والصعيدي، إلا أنها لا تزال وجبة محبّبة لدى المشاهدين الذين يعرفون أن الاجتماعية هي سمة تلك الصناعة المعروفة عربياً من الفقر وتجارة المخدرات ومعاناة النساء والفساد، كلّها قضايا عربية نقلتها الدراما منذ سنوات إلى الشاشة الصغيرة.

نيللي كريم وشريف سلامة في مسلسل «فاتن أمل حربي»

بعيداً عن شركة «سينرجي» الكبرى للإنتاج في مصر، تقدّم «صبّاح إخوان» لصاحبها المنتج اللبناني صادق الصبّاح عملاً سياسياً اجتماعياً، هو «بطلوع الروح» (تأليف محمد هشام عبية - إخراج كاملة أبو ذكرى - mbc - «شاهد») تلعب بطولته منة شلبي، إلهام شاهين وأحمد السعدني، واللبنانيان عادل كرم ودياماند بو عبود. صوّر المسلسل كاملاً في لبنان ويتألف من 15 حلقة تدور أحداثها (المقتبسة عن قصة حقيقية، كما تشير الدعاية) حول زوجة تكتشف أن زوجها ينتمي إلى «داعش» ويختطفها فتحاول الهرب. ينتهي بها المطاف في معسكر للهاربات من التنظيم.

> «الاختيار 3» يشير إلى دور المخابرات في الأحداث التي عاشها المصريون في السنوات الأخيرة

هذا العام، تواصل نيللي كريم رفع راية القضايا الاجتماعية التي اشتهرت بها منذ سنوات. تلعب النجمة المصرية بطولة «فاتن أمل حربي» (إخراج محمد جمال العدل - CBC - «رؤيا» - منصة «شاهد») الذي كتبه إبراهيم عيسى. يجمع المسلسل نيللي مع هالة صدقي، فادية عبد الغني، شريف سلامة، ويعالج قضايا مهمة تعانيها المرأة العربية على رأسها الطلاق وحضانة الأطفال. أثار العمل ضجة عند الإعلان عنه، على اعتبار أن إبراهيم عيسى مثير للجدل وبارع في القصص التي تجمع بين الإشكاليات الدينية والاجتماعية. من جانبه، ينافس هاني سلامة زملاءه بـ «ملفّ سرّي» (تأليف محمود حجاج - إخراج حسين البلاسي - DMC، و CBC، و MBC دراما، و«الحياة») الذي يفتح ملف الفساد في القضاء المصري. يدور العمل حول قاض يجد نفسه فجأة أمام ملفات فساد تهدّد حياته.
على الضفة نفسها، يطل النجم السوري جمال سليمان في المسلسل المصري الاجتماعي «مين قال» (إخراج نادين خان - mbc). يخاطب العمل المراهقين والشباب من خلال طرح عدد من قضايا هذه الشريحة العمرية. في السياق نفسه، يطل خالد النبوي في «راجعين يا هوى» (تأليف الكاتب الراحل أسامه أنور عكاشة، إخراج محمد سلامة - DMC ، و CBC، «شاهد»، Watch It). تدور القصة حول رجل الأعمال بليغ أبو الهنا (خالد النبوي) الذي يقرّر العودة إلى مصر بعد حياة أمضاها في الخارج، وهو محمّل بديون كثيرة. تتصاعد الأحداث، عندما يعود بحثاً عن ميراثه، ومحاولة استعادته من ورثة أخيه المتوفّى.
تحضر حنان مطاوع من خلال «وجوه» («أبو ظبي»، و«القاهرة والناس»، و«الظفرة») الذي يقدّم حكايتين اجتماعيتين، كل واحدة في 15 حلقة، من تأليف محمد علي إبراهيم. الأولى بعنوان «وش تالت» من إخراج معتز حسام، والثانية بعنوان «وجوه» تحمل توقيع المخرج أحمد حسن. يقدم العمل حكاية فتاة تعاني من مشاكل نفسية ستنعكس على المحيطين بها. ويحضر هذا العام مسلسل «Suits» بالعربي» (إخراج مريم الأحمدي . شبكة OSN - CBC - منصة Watch It) وهو النسخة العربية من العمل الأميركي الشهير، وبطولة: أسر ياسين، أحمد داوود، صبا مبارك، ريم مصطفى، محمد شاهين وتارا عماد... تأخذنا القصة إلى كواليس عالم المحاماة والقضاء.



# موسم الكوميديا بامتياز

على مدار سنوات، كانت الكوميديا المصرية مسيطرة في رمضان، والشاشة تمتلئ بنجوم يقدمون أعمالاً جيدة أو متوسطة، ومعظمها يحظى بنسب مشاهدة عالية تشجع على إعادة عرضها التي تتواصل على القنوات بعد انتهاء شهر رمضان. لكن في السنوات الأخيرة، تراجعت المسلسلات الكوميدية، لأسباب عدة على رأسها ضعف الكتابة، واعتماد أبطالها على الارتجال والتهريج السخيف، وتكرار «الإفيهات» كأن الممثل يحاول أن يخلق أي نوع من الضحك «بالعافية» كما يُقال بالعامية المصرية.
والنتيجة أنّ عدد المسلسلات الكوميدية تناقص من عام إلى آخر، وانصرف الجمهور عنها، حتى إنّ بعض الفنانين وصل الأمر بهم إلى الاعتذار علناً عن المستوى السيّء الذي جاءت عليه أعمالهم. لكن هذا العام، يبدو الأمر مختلفاً رغم غياب عادل إمام ويحيى الفخراني. إذ إنّه يسجّل عودة أحد كبار الكوميديانات وهو أحمد مكي من خلال الجزء السادس من «الكبير أوي» (إخراج أحمد الجندي - dmc - «dmc دراما» - «ART حكايات» - منصة WATCH IT) بمشاركة بيومي فؤاد، هشام إسماعيل، محمد سلام، وضيوف شرف منهم: ماجد الكدواني وحمدي المرغني. تحديات تقف في وجه المسلسل، أهمها عدم نجاح الجزء السابق (الخامس) الذي عُرض في رمضان 2015، وغابت عنه بطلته دنيا سمير غانم، التي تغيب عن الجزء السادس أيضاً. من ناحية ثانية، فإنّ الجيل الذي ارتبط بسلسلة «الكبير أوي» التي انطلق عرضها عام 2010، صار الآن أكبر سنّاً وربما لا ينجذب إلى هذه النوعية. أما الأجيال الأصغر التي يعتمد المسلسل عليها، فلم تتابع قصصه السابقة ولم ترتبط بشخصياته، وبالتالي قد تشعر بنوع من عدم التواصل معه ومع أحداثه التي يبدو أنها ستلتزم بـ «ياترون» الأجزاء السابقة بدءاً من الاستعانة بضيوف الشرف إلى إعادة محاكاة مشاهد بعض الأعمال الدرامية الشهيرة، مثل المحاكاة الساخرة للمسلسل الكوري squid game.

«أحلام سعيدة» يسجّله ابتعاد يسرا وغادة عادل عن الميلودراما

يعود أيضاً أكرم حسني الذي كان من أكثر الفنانين ارتباطاً برمضان منذ 2017. إلا أنّ الفشل الذي تعرض له مسلسله «رجالة البيت» عام 2020 أبعده عن الشاشة العام الماضي. يعود هذا العام من خلال «مكتوب عليا» (إخراج: خالد الحلفاوي - تأليف: إيهاب بليبل - dmc، «dmc دراما»، «ART حكايات» - منصة WATCH IT ) الذي يُشارك في بطولته عمرو عبدالجليل. الأخير صار من أكثر الكوميديّين حضوراً وإفيهاته ماركة مسجلة على صفحات التواصل الاجتماعي. يعتمد المسلسل على فكرة مبتكرة حول شاب يفاجأ بكتابة طالعه اليومي على ذراعه ولا يتمكّن أحد غيره من رؤيته.

> عودة أحمد مكي من خلال الجزء السادس من مسلسل «الكبير أوي»

يعود أكرم حسني من خلال المسلسل للتعاون مع المخرج خالد الحلفاوي الذي حقّق نجاحاً كبيراً معه في «الوصية» عام 2018. يشهد رمضان أيضاً تجربة عمرو وهبة وهشام جمال الثانية في الكتابة والإخراج من خلال «في بيتنا روبوت 2» («الحياة» - «الحياة دراما» - منصة WATCH IT) الذي عرض جزؤه الأول قبل أشهر خارج الموسم الرمضاني، ونال نسبة نجاح جيدة. تدور الأحداث في إطار خيالي حول عالم برمجيات يبتكر «روبوتين» لرجل وامرأة يعاونانه وزوجته في عمله وحياته. ويشهد الموسم مسلسلات تنتمي إلى الكوميديا الاجتماعية الخفيفة كـ «أحلام سعيدة» (DMC و«DMC دراما» - منصة WATCH IT - «شاهد»)، و«دايما عامر» («ART حكايات» - «شاهد»)، «رانيا وسكينة» (قنوات MBC - «شاهد»)، و«شغل عالي» («ART حكايات»، «النهار»، «النهار دراما»).
مصطفى شعبان يعود إلى الكوميديا التي غاب عنها لسنوات منذ «دكتور أمراض نسا» (2014). إذ يشارك في «دايما عامر». أما «أحلام سعيدة» (إخراج عمرو عرفة - DMC - «DMC دراما»، منصة WATCH IT - «شاهد»)، فهو التجربة الأولى في الكتابة (من دون إخراج) للمخرجة هالة خليل. المسلسل الذي تؤدي بطولته يسرا، وغادة عادل، ومي كساب، سيشهد ابتعاد يسرا وغادة عادل عن الميلودراما التي اتصفت بها أعمالهما في السنوات السابقة. ولا يخلو الموسم من كوميديا نسائية أخرى من بطولة روبي ومي عمر هو «رانيا وسكينة» (إخراج شيرين عادل - تأليف محمد صلاح العزب). رغم أن التيمة مكررة ومعادة عن علاقة تربط فتاتين إحداهما أرستقراطية والثانية شعبية، إلّا أنّ وجود اسم روبي قد يحقّق للمسلسل نوعاً من الجاذبية. مسلسل نسائي آخر هو «شغل عالي» (تأليف حسين مصطفى محرم - إخراج مرقس عادل) يتناول المفارقة نفسها في شكل العلاقة بين الأرستقراطيات الراقيات والشعبيات بمشاركة فيفي عبده وشيرين رضا.

# مَن ينقذ هؤلاء من بَحر النسيان؟

خلال السنوات الماضية، تعرّض عدد من نجوم الدراما المصرية لسقطات فنية، أدت إلى انخفاض أسهمهم في بورصة الدراما الرمضانية، وهبوط - مدوٍّ أحياناً - في تحقيق نسب المشاهدة المتوقّعة، مع سيل من المقالات النقدية والتعليقات الفايسبوكية التي تنتقد أداءهم أو الأعمال التي قدموها بشكل عام.
يبدو أنّ معظم هؤلاء النجوم يحاولون التشبّث بطوق النجاة الأخير لهم هذا العام، حتى لا تغرق نجوميّتهم في بحر النسيان. من أشهر هؤلاء أحمد السقا، الذي لطالما ارتبط دخوله الدراما بالفشل، باستثناء أول أعماله كنجم سينمائي كبير، أي مسلسل «خطوط حمراء» (2012) الذي شهد عودته بعد غياب أكثر من عشر سنوات عن شاشة التلفزيون. نجاح «خطوط حمراء» لم يتكرّر مع العمليين التاليين «ذهاب وعودة» (2015) و«الحصان الأسود» (2017). لعل ذلك سبب اختياره لمخرج المسلسلات الشعبية محمد سامي الذي ارتبط اسمه بأعمال محمد رمضان، ليقدم معه عملاً في العام الماضي هو «نسل الأغراب» الذي حقّق أكبر فشل لمسلسل في تاريخ الدراما الحديث! حقّقت أعمال رمضان وسامي أعلى نسب مشاهدة نظراً إلى التوابل الدرامية التي حوتها مثل تيمات الغدر والانتقام والبطل المغوار الذي تقع في غرامه «ست الحسن والجمال»، التي لا تؤدي دورها سوى ممثلة واحدة هي مي عمر زوجة المخرج.

محمد رمضان الذي بطل في «المشوار»، خسر كثيرا من شعبيته لأسباب خارجة عن الدراما

تعاون السقا مع سامي في «ولد الغلابة» (2019) الذي نجح إلى حد ما جماهيرياً، لكن ناله نصيب كبير من الانتقادات والسخرية، وقرر الاثنان تكرار التجربة في العام الماضي، فخرج «نسل الأغراب» غريباً، وسقط سقوطاً مدوياً، جماهيرياً ونقدياً، ولم يبق منه سوى منشورات وتعليقات ساخرة على مواقع التواصل الاجتماعي. كان من الطبيعي أن يزحف القلق إلى قلب السقا، فقد كاد «نسل الأغراب» أن ينهي مشواره التلفزيوني. لذلك، راح يبحث عن شيء يسنده ويُعيده إلى الحياة الدرامية، ولم يجد أفضل من مسلسل «الاختيار 3» (بيتر ميمي - DMC، «DMC دراما»، «ART حكايات») الذي حقّق في جزءيه الأول والثاني نجاحاً هائلاً على المستويين النقدي والجماهيري. شارك السقا من قبل كضيف شرف في آخر حلقات الجزء الأول، حيث قدم شخصية الضابط الذي يذهب لزيارة هشام عشماوي في السجن. ومن الواضح أنّ السقا سوف يستكمل الدور نفسه في «الاختيار 3»، وسوف يحاول النجاة بشتى الطرق، وإن على حساب البطولة المطلقة، فهو هنا البطل الثالث للأحداث بعد كريم عبدالعزيز وأحمد عز.
على الجانب الآخر، ما زال محمد رمضان يبحث عن يمنحه المعادلة الصعبة ليحقّق النجاحين النقدي والجماهيري، بعدما نجح على المستوى الجماهيري العام قبل الماضي من خلال مسلسل «البرنس»، والعام الماضي نقدياً وفنياً من خلال مسلسل «موسى». مع ذلك، فقد خسر رمضان مساحة كبيرة من شعبيته لأسباب خارجة عن الدراما، معظمها يتعلق بسلوكياته وتصريحاته على مواقع التواصل الاجتماعي. يحاول رمضان هذا العام الحفاظ على بقائه من خلال التركيز على المستوى الفني، فيقدمَ «المشوار» (DMC - «DMC دراما» - منصة WATCH IT) مع المنتج سعدي جوهر الذي وصل مسلسله «لعبة نيوتن» إلى القمة في العام الماضي، كما مع المخرج محمد ياسين الذي حقّقت مسلسلاته السابقة المعنى الحرفي لمفهوم التفوق الفني والجماهيري. اختار رمضان أيضاً أن تشاركه البطولة واحدة من نجمات الموسم التي اعتادت على تقديم مسلسل من بطولتها على مدار السنوات الأربع الماضية وهي دينا الشربيني. فهل يفلح رمضان في استعادة بعض الشعبية التي فقدها في الآونة الأخيرة بسبب السوشال ميديا؟

> لا يهتم معظم النجوم بمستوى الكتابة

لا يهتم معظم النجوم بمستوى الكتابية، ولكن هناك استثناءات كيسرا ونيللي كريم. بعد تسعة أعوام من تقديم آخر مسلسل كوميدي خفيف لها بعنوان «نكدب لو قلنا مبنحبش» (2013)، عادت يسرا هذا الموسم لتقديم مسلسل كوميدي خفيف من تأليف هالة خليل وإخراج عمرو عرفة هو «أحلام سعيدة» (DMC . «DMC دراما» - منصة WATCH IT - «شاهد»)، بعدما دأبت على بطولة مسلسلات تغرق في المآسي والأحزان. أما نيللي كريم التي حقّقت نجاحاً كبيراً العام قبل الماضي من خلال مسلسل «بـ 100 وش»، فتحاول إعادة كرة النجاح من خلال مسلسل «فاتن أمل حربي» (تأليف الصحافي ابراهيم عيسى - CBC، «CBC دراما»، منصة WATCH IT - «شاهد») من توقيع المخرج محمد جمال العدل الذي أنجز لها واحداً من أفضل أعمالها الدرامية (لأعلى سعر/ 2017) بعد الإخفاق الذي صاحب آخر مسلسلاتها (ضد الكسر) العام الماضي.

«تذكّر كلامي جيداً، العام المقبل لن يكون هناك إنتاج للدراما السوريّة لأن المكاسرة في البيع وصلت إلى حدود غير شريفة» يقول لنا أحد المنتجين السوريين في نظرة تشاؤمية بعدما باعت غالبية الشركات السوريّة موادها بأسعار رخيصة نسبياً، واعتمدت على الإكثار من البيع وتحصيل المرابح مع أكبر عدد من المحطات! النظرة التفاؤلية للصناعة السوريّة الوازنة تجد ضالّتها في أنّ الخليج فكّ الأقفال وقررت إمبراطورية الإعلام السعودي من قمّة عرشها المتمثّل في شبكة mbc أن تلقي التحية على الشام بعد طول جفاء، إذ أشرت هذا العام دراما سوريّة معاصرة وخالصة للقنوات التلفزيونية، ولمنصة «شاهد» أيضاً. كذلك فعلت «أبو ظبي» التي لم تغلق يوماً الخط في وجه المكالمات الواردة من دمشق، فيما عادت «روتانا» أيضاً إلى البضاعة السوريّة، في حين نات قطر بالسياسة عن الفن وراحت تشتري دراما سوريّة بنهم لقنوات «bein دراما» المشفرة وقناة «الريّان» ومنصة «تود» الجديدة الطامحة لأن تكون في مصاف التنافس مع الكبار! على الدرب ذاته، تسير غالبية المنصّات التي باتت تحكم سيطرتها بشكل أو بآخر على السوق. على هذه الأحوال، تنقسم هذا العام الآراء حول الدراما السوريّة التي تطلّ في الموسم بقرابة 12 عملاً نصفها صوّر منذ العام الماضي، بمعنى أنّ الإنتاج من ناحية الكم في أسوأ أحواله، لكن هناك من يعوّل على النوع وعلى الجراة، والمواضيع الاجتماعية الساخنة التي تتحدى الرقيب، كما يعلّق آماله على نشوة الكوميديا التي لطالما كانت لعبة دمشق الأثيرة! موسم جديد متنوّع وغياب شبه واضح للرؤية المستقبلية، لكنّ الأكيد بأن الفن في سوريا لا يموت... هذه ترتيلة لا يكفّ كل من يعرف الشام عن ترداها!

إعداد **وسام كنعان**

# الدراما السورية تراهن على «الصدمة»

سلاف فواخرجي في مشهد من «مع وقف التنفيذ»

صحيح أنّه لا يمكن للفن كتابة التاريخ، لكنّه يمكن أن يكون شاهداً، وثيقةً على الأقل في عالمنا العربي. يمكن لذكاء وبراعة الصنعة والموهبة الاحتيال على الرقيب، وفضح المستور من سلوكيات السلطة وعقليّتها المأزومة، وما أرسته من قوانين مزارع تتناهشها عصابات ومافيات لا أحد يجرّب وضع حدّ لها لا في السّلم ولا في الحرب. تلك الأنواع من المسلسلات تعتمد مبدأ الصدمة، التي تترك آثارها ببلاغة واضحة، خاصة عندما تُحاكي الواقع بصراحة شديدة.

هذا العام تتنافس بعض الأعمال السورية الاجتماعية الصادمة، خصوصاً بين «كسر عضم» (تأليف علي الصالح . إخراج رشا شربتجي - بطولة: كاريس بشار، سامر اسماعيل، فايز قزق، خالد القيش، ولاء عزّام ندين تحسين بيك - إنتاج «كلاكيت» - قنوات «أبو ظبي» - LBCI) وبين «مع وقف التنفيذ» (كتابة علي وجيه ويامن الحجلي - إخراج سيف الدين السبيعي - بطولة: غسان مسعود، سلاف فواخرجي، عبّاس النوري، صفاء سلطان، شكران مرتجى، فادي صبيح. إنتاج «إيبلا» - mbc دراما»، منصة «شاهد» - bein دراما»، منصة TOD، «حكايات»، «روتانا دراما»، LBC، قناة« لنا»، «Zee ألوان»...)

في «كسر عضم»، سيكون المشاهد مع لعبة رشا شربتجي المفضّلة في حبس الأنفاس والتشويق للحدّ الأقصى، وهو ما اختبره في مسلسلاتها السابقة التي أسّست لمثل هذا النوع من الأعمال. تقدّم الحكاية مجموعة متداخلة من الأحداث أهمها تفنيد جديد لذكورة المجتمع واستضعاف المرأة ومحاولة تقييدها وربط العار بكلّ ما تتعرّض له من تحرّش ومضايقات. هكذا، ينبش المسلسل في كواليس قضية قديمة، من خلال موضوع التحرّش وفكرة أن ترفع الفتاة التي يتم التحرّش بها صوتها عالياً، ومعضلة أنها إذا سكتت ستتعرّض لمزيد من الضغوط النفسية والتجاوزات المهينة. وإذا تكلّمت أو شكت، ستكون الفضيحة لها في المرصاد... لذا لن يُجدي نفعاً أي سلوك، سواء فكرت أن تلوذ بالقانون، أو تحتكم لشريعة الغاب التي تمنح الأفضلية للأقوى أي للذكر في مجتمع موغل في الذكورية والرجعية والتخلّف، بالإضافة إلى مجموعة قضايا متشابكة تبني تصعيداً منطقياً وتخوض في خبايا النفس البشرية.

> **في «كسر عضم»، سيكون المشاهد مع لعبة رشا شربتجي المفضّلة في حبس الأنفاس حتى الحدّ الأقصى**

أما «مع وقف التنفيذ»، فقد جدّد علاقة mbc مع الدراما السورية. إذ كان آخر الأعمال الاجتماعية التي عرضتها القناة مسلسل «بنات العيلة» في حين كانت الدراما الشامية حاضرة دوماً على الشبكة السعودية. ينطلق العمل من كيفية عودة سكّان حارة العطارين الكائنة في إحدى ضواحي دمشق إلى بيوتهم، بعد سنوات على النزوح منها، لتبدأ الحكاية. علماً أنّ الحارة تضمّ شخوصاً متنوّعة الطباع والأفكار والطبقات الاجتماعيّة، منهم الفقير الشعبيّ، والمثقّف المتعلّم، والغنيّ، والطبقة الوسطى، والتاجر...

تتابعهم اجتماعياً وإنسانياً وتشويقياً، ما بين مستوى مختصر من الماضي لتوضيح العلاقات والجذور والأحداث في مرحلة ما قبل مغادرة الحارة (قبل الخروج)، وبين الحاضر الذي تمضي فيه الشخوص في مساراتها ونحو تطلّعاتها. ما بين الماضي والحاضر، داخل الحارة وخارجها، تطرح الحكاية نفسها أسئلة مفادها: كيف كان شكل العلاقات بين هؤلاء الشخوص في الماضي؟ وكيف صارت اليوم؟ من كان صديق الآخر، هل أصبح عدوّه اليوم؟ ولماذا؟ من خرج عاشقاً؟ هل عاد كذلك أم بحال مختلف، أم اتّجه إلى حبّ جديد؟

أسئلة كثيرة خلال سعي أبطال القصة إلى النهوض مجدّداً، ضمن محيط ملتبس ومتخبّط. أزمات متروكة، تحوّلت أفراد على المحك مع مبادئهم وقناعاتهم، بحث عن الخلاص والأمل والفرص الثانية... في المقابل، يسعى بعضهم من خارج الحارة إلى الإفادة من وضعها وموقعها الإستراتيجي، ضمن صراع كبير على كعكة إعادة الإعمار ضمن مراحل تصعيد متلاحقة.

في سياق مختلف وبمنطق الدراما الاجتماعية الهادئة التي لا تخلو من التشويق، يسير مسلسل «على قيد الحب» (كتابة فادي قوشقجي . إخراج باسم السلكا . بطولة دريد لحام، سلوم حداد، أسامة الروماني، مديحة كنيفاتي، يزن خليل، صباح الجزائري، وفاء موصلي، عاصم حواط، ندين خوري، رنا كرم، نسرين فندي، خالد شباط، ماجد عيسى، وجلال شموط، إنتاج «إيمار الشام» - «لنا»، «الشرقية»، «وياك»). يلاحق العمل مصائر شخصيات تعيش في زماننا الحاضر، ويخوض في تركيبة العلاقات الاجتماعية وتعقيداتها نتيجة تشابكات الظروف المحمومة. إذ ينطلق من قصة صديقين تنسج عليها قصة المسلسل بتصعيد يأمل أن يكون مشوّقاً وجذاباً.

## إثارة وتشويق مع «السيد آدم»

من أبرز الأعمال المؤجّلة بعد الانتهاء من تصويرها العام الماضي مسلسل «مقابلة مع السيد آدم» (كتابة وإخراج فادي سليم . بطولة: غسان مسعود، محمد الأحمد، رنا شميّس، لجين إسماعيل، مصطفى المصطفى، تولين البكري - قنوات «أبو ظبي»). قدّم العمل حكاية الجزء الأوّل بطريقة شوّقت الجمهور بعدما تابع الأستاذ الجامعي آدم عشية استعانة الجهات الجنائية به لكشف ملابسات مقتل فتاة مصرية في سوريا، بذريعة خبرته الطويلة في هذا المجال ومن ثم اعتزاله لها وتفرّغه للتدريس الجامعي.

وبالفعل يتمكّن الرجل من كشف ملابسات الجريمة، ما يجعله يقع في مواجهة مع المجرمين الذين يختطفون ابنته المصابة بمتلازمة داون ويجعلونه يغيّر تقريره. لكنّ الفتاة تموت بعد عودتها إلى أهلها بسبب خلل في جرعاتها الدوائية.

يُخفي الرجل الجريمة ويبدأ برحلة تصفية الحساب مع أفراد العصابة ويتمكّن بفضل خبرته الطويلة من تضليل الشرطة عن كشف الجرائم. الرحلة ستستمرّ في الجزء الثاني مع الأستاذ الجامعي ورحلة انتقامه الطويلة.



# «الحارة» الشامية تفقد سحرها

عباس النوري في «حارة القبة 2»

لم تتعدَّ الأعمال التي أُنجزت هذا الموسم أصابع اليد الواحدة. مع ذلك، تحضر الدراما السورية بحوالي 12 مسلسلاً، عدد مقبول، لكن ضئيل قياساً بسنوات التوهّج الذهبي. علماً بأن الخريطة النهائية تشي بأنّ قسماً من الأعمال المعروضة هذا الموسم، كناية عن أجزاء لمواسم سابقة، ومنها ما تمّ تحضيره منذ العام الماضي ليُعرض اليوم. وغالبية تلك المسلسلات تندرج ضمن البيئة الشامية التي لا تزال تستأثر بحصّة الأسد من الدراما الرمضانية، بذريعة سهولة التسويق والطريق الممهّدة إلى الفضائيات...

هذا العام، سيكون المشاهد مع مجموعة أعمال تشكّل استمراراً لأجزاء شامية سابقة أبرزها وأهمها «حارة القبة 2» (كتابة أسامة كوكش - إخراج رشا شربتجي - بطولة عباس النوري وسلافة معمار وفراس إبراهيم وفادي صبيح وخالد القيش - إنتاج «عاج» - «رؤية»، art، «لنا»، «سوريا دراما»). يقدّم العمل قصّة شامية مشوّقة تستعير بعض مفرداتها من مجموعة مسلسلات سابقة، مثل الأمانة التي تشكّل جوهر البناء الحكائي للمادة الدرامية، وغيرها من الأحداث من دون الخروج عن التقليد السائد في أعمال مماثلة. ويُفترض أن يستمرّ صراع الخير والشر التقليدي بين قطبَي النزّاع أبو العزّ (عباس النوري) وطبنجة (فادي صبيح). أما غازي (خالد القيش)، فهو السلطة المتسيّدة برداءة أخلاقها، فيما يلعب محمد حداقي (أبو الأحلام) دوراً جوهرياً في ردّ الحق لأهله ووضع الأمور في نصابها، باعتباره من أهل الخير وأصحاب الكرامات الذين يُخشى جانبهم، خصوصاً ممن باعوا ضميرهم وارتضوا بالوضاعة في سلوكياتهم!

وهذا الموسم، يحضر «الكندوش 2» (كتابة حسام تحسين بيك . إخراج سمير حسين - بطولة: أيمن زيدان، سلاف فواخرجي، شكران مرتجى، أيمن رضا، كندة حنا، صباح الجزائري، سامية الجزائري، حلا رجب، هافال حمدي، وهمام رضا - «الظفرة» وLBC، «سوريا دراما»، و«لنا»). قدّم المسلسل، في جزئه الأوّل، دراما خاوية تماماً من الحدث. تدور الشخصيات بلا حكاية واضحة، أو تصعيد درامي كلاسيكي بمنطق التشويق. ويذهب للمراهنة على اقتراح شكل جديد للمسلسل الشامي، يواكب فيه الحقيقة السائدة آنذاك، ويكشف التباين الذي كان قائماً في المجتمع الضيّق، ويمزن المتلقي على التعافي من عنتريات وسحب الشبريّات والصراخ والعويل والأداء الخارجي. لكنّه مُني بحملة شرسة وأحكام مستعجلة من دون مبررات التجربة الأولى للشركة السورية الجديدة. لكنّ صنّاعه يعدون بأن تكون أحداث الجزء الثاني، أكثر تشويقاً مع شدّ تصاعدي نحو ذروات متتالية.

على المنوال ذاته، كانت شركة «قبنّض» قد أجّلت عرض الجزء الثاني من مسلسلها «بروكار» (كتابة الراحل سمير هزيم. إخراج محمد زهير رجب. بطولة: سعد مينه، فاديا خطّاب، زهير رمضان، قاسم ملحو ونادين خوري). العمل الذي سيُعرض على nbn، و«المنار»، ومنصّة «ويَاك» وغيرها) لم ينجح في شقّ طريقه إلى الشاشات خلال العام الماضي ليجد مكانه هذا العام، إذ يحكي عن حادثة تاريخية لها علاقة بمحاولة أحد المهندسين الفرنسيين سرقة هذه الصناعة والخروج بصنعة بديلة للقضاء على الإنتاج الوطني المحلي في أربعينيات القرن الماضي. يجرّب المسلسل إضفاء جرعات تشويقية على خلفية المحور الجوهري للحكاية من خلال جرائم قتل متتالية تدور خيوطها على خلفية الحدث الرئيس، وتصفيات لضبّاط فرنسيين!

> **يستعيد «بروكار» حادثة تاريخية عن محاولة أحد المهندسين الفرنسيين سرقة هذه الصناعة في أربعينيات القرن المنصرم**

كذلك سيحضر هذا العام «باب الحارة 11» (كتابة مروان قاووق - إخراج محمد زهير رجب. إنتاج «قبنّض». بطولة: فاتح سلمان وزهير عبد الكريم - nbn، «الشاهد» الكويتية، «الريّان» القطرية، «الرابعة» التونسية، ومنصة starzplay). المسلسل استمرار للأحداث التي قلبت رأساً على عقب بعد امتلاك «قبنّض» للتجربة واعتذار معظم نجومه عنه، ويروي صراعات بسيطة في حارة شامية في محاولة أن تكون كفّة الخير هي الراجحة في النهاية.

تعثّرت شركة «غولدن لاين» (ديالا ونايف الأحمر) في التسويق هذا العام، رغم ما عُرف عنها من اكتساح للسوق في كل المواسم السابقة. لكنّ حال مسلسلها «جوقة عزيزة» ليس بخير تسويقياً، إذ لم تعلن سوى «روتانا» عن عرضه. والعمل (تأليف خلدون قتلان - إخراج تامر إسحق - بطولة: نسرين طافش، سلّوم حداد، هبة نور...) يُقدّم استعراضياً غنائياً في قالب شعبيّ وبيئة دمشقية. حكاية تنقلنا إلى سنة هامّة من سنوات الانتداب الفرنسي، وإلى مكان منسيّ في دمشق. أحداث متخيلة في شارع محدد بالاسم، أسهم في إحياء الحركة الفنية في دمشق في تلك الفترة. إذاً، نتابع فرقة عزيزة ومسرحها المتّقد بالمواهب الغنائية والتمثيلية والراقصة وصراعها مع منافسين في المجال نفسه في تلك الحقبة الزمنية.

# الكوميديا تنتعش وتشتبك مع الواقع

شكران مرتجى في «الفرسان الثلاثة»

تاريخياً، بنت الدراما السورية مجدها على الكوميديا، سواء في ما قدّمته من أعمال بجهود جماعية، أو ما لمع منها من كركرات خالدة، نجح أصحابها في حفر شخصياتهم وأسمائها بماء الذهب في وجدان المشاهد العربي، القصة قديمة إذاً، ربما تكون بداياتها مع «مسرح الشوك» و«الكبارية السياسي» اللذين يُعد دريد لحّام واحداً من روادهما وأحد مؤسّسيهما. جاء ذلك عشية النكسة وما تلاها من وقائع سورية متردّية أفسحت الطريق أمام خلق مادة درامية تنهل من الواقع وتصوغ منه مفردات نقدية ساخرة، تكون قوام مواد كوميدية متماسكة. لاحقاً، تحوّلت الأفكار المسرحية إلى مشاريع تلفزيونية واستمرت طويلاً منها «مرايا» و«بقعة ضوء». لكنّ السنوات الماضية كانت بمثابة استراحة طويلة، لم نشهد فيها أي عمل سوري كوميدي استطاع أن يترك بصمته بعمق كما اعتادت المواسم الرمضانية السابقة أن تفعل. لكن في هذا الموسم، يبدو أن انتعاشةً كوميدية في طريقها نحو الشاشة أولاً مع عودة سلسلة «بقعة ضوء» بجزئها الـ 15 (مجموعة كتاب ومجموعة مخرجين - بطولة أيمن رضا، شكران مرتجى، أحمد الأحمد، جمال العلي، محمد خير الجرّاح، فايز قزق، نانسي خوري، غادة بشور، مازن عباس، باسل حيدر، غسان عزب، محمد خاوندي وعبير شمس الدين - إنتاج «سما الفن» - تلفزيون «سما»، «سوريا دراما»). كالعادة، يقدم العمل لوحات ناقدة ساخرة تشتبك مع الظروف الخدماتية، والأحوال المعيشية، والواقع السياسي المُزري للبلاد. كما ينحو باتجاه حُمّى السوشال ميديا وسيطرتها على مفاصل حياتنا، مع التعريج على المنطق الجديد الذي بات يحكم حياتنا وموجة الغلاء القاتلة. يطبّق الجزء الجديد اقتراحاً سبق أن قدّمه أيمن رضا أحد مؤسّسي هذا المشروع، بالاعتماد على مجموعة مخرجين وجميعهم من الجيل الشاب منهم: عمرو حاتم علي، علي المؤذن، مجيد الخطيب ورامي ديوب.

من جانب آخر، يعود الكوميديان السوري أيمن زيدان إلى ملعبه المفضّل من خلال مسلسل «الفرسان الثلاثة» (كتابة محمود الجعفوري - إخراج علي المؤذن - بطولة: أيمن زيدان، شكران مرتجى، جرجس جبارة، جمال العلي وفادي صبيح، وإنتاج «المؤسسة العامة للتلفزيون» - المحطات السورية). تقترح التجربة كوميديا «لايت» تسلّط الضوء على شريحة اجتماعية لم يسبق أن أفردت لها مساحة وافية وهم الكبار في السن، أو الرجال في مرحلة التقاعد، وتعرّج على محاولاتهم الجادة للبقاء مؤثرين وفاعلين في الحياة، مع مفارقات متلاحقة تحاول التقاط الموقف الكوميدي من الحدث الحياتي، مع إعطاء أهمية في البناء الحكائي لبحث شخصيات المسلسل عن مصادر دخل ومحاولة دعم عائلاتها. يمعنى أن التجربة التلفزيونية لا تتجاهل أحوال الناس الاقتصادية والأزمة المعيشية والخدماتية الخانقة التي تعيشها البلاد!

> **أعمال تقارب الظروف الخدماتية، والأحوال المعيشية، والواقع السياسي المزري، والغلاء الفاحش**

من جانبها، تتصدّر شركة «أفاميا» (فراس الجاجة) المشهد السوري هذا العام بتجربة كوميدية اجتماعية «لايت» في مسلسل «حوازيق» (كتابة زياد ساري - إخراج رشاد كوكش. بطولة: سلمى المصري، وائل رمضان، فاتح سلمان وعلا الباشا، ويحل عليه عدد كبير من الضيوف منهم: أمل عرفة، أيمن رضا، رنا شميس، عبير شمس الدين، وائل زيدان، أسامة الروماني وفراس إبراهيم - «شوف دراما» - «أوان» - «ويَاك»). يتعقّب العمل يوميات عائلة وقعت تحت سطوة الحرب، ففقدت وضعها المالي الجيّد، بعدما كانت تُعتبر أسرة مقتدرة وتحوّل الفندق الذي تملكه في دمشق القديمة إلى مكان فارغ. لكنّ ربّة العائلة تجترح حلاً يكمن في إعادة تأهيل الفندق وتأجيره ولو بمبالغ معقولة. هكذا، قررت إعادة العمل بإحدى الغرف على أن تؤجرها لزبائن جدد ينتمون إلى فئات اجتماعية أضعف، حتى تستطيع إحلال توازن بسيط، على أمل أن تتغير الحال في ما بعد... من هنا تبدأ المفارقات مع ضيوف ونزلاء الفندق المتجددين، على أن يحلّ نجم سوري ضيفاً على كل حلقة، ما أتاح لصنّاع المسلسل استضافة أكبر قدر ممكن من نجوم الكوميديا السورية الذين سيكونون على تماس مباشر مع عائلة أمّ مطيع مالكته.

# دليل ليالي رمضان 2022

## برمجة رمضان

### LBC
«كسر عظم»
«علي رضا» (تركي)

### الجديد television
«الزمن الضائع»

### mtv
«والتقينا»
«للموت 2»

### ظ
«ظل المطر»
«بروكار 2»
«بحثاً عن الهدوء»

### أبوظبي
«محمد علي رود 2»
«عائلة عبدالحميد حافظ»
«كيد الحريم»

### شاهد
«توبة»
«بطلوع الروح»
«فاتن أمل حربي»
«راجعين ياهوى»
«مين قال»
«أحلام سعيدة»
«دايما عامر»
«رانيا وسكينة»
«المداح»

### [illegible]
«على قيد الحب»
«مع وقف التنفيذ»
«كسر عضم»

### beIN HD 1 دراما
«مع وقف التنفيذ»
«بيت الشدة»
«كيد الحريم»
«ولاد البلد»
«نساء قلن لا»

### OSN ياهلا HD
«بابلو»
«Suits سوتس بالعربي»

### dmc LIVE
«أحلام سعيدة»
«الكبير أوي»
«الاختيار»
«يوتيرن»

### النهار
«شغل عالي»
«وجوه»
«إنحراف»
«دنيا تانية»

### WATCH iT!
«ملف سري»
«جزيرة غمام»
«سوتس»
«في بيتنا روبوت»
«المشوار»
«مكتوب عليا»
«يوتيرن»
«أحلام سعيدة»
«فاتن أمل حربي»
«الكبير أوي»
«راجعين ياهوى»

### [illegible]
«بروكار 2»
«الهيبة 4»
«باب الحارة 11»

### القاهرة والناس
«وجوه»
«بيت الشدة»

### CBC
«فاتن أمل حربي»
«يوتيرن»
«راجعين ياهوى»
«ملف سري»
«سوتس»

### دبي
«سنوات الجريش»
«ناطحة السحاب»
«عاشر صفحة»

### مصر
«توبة»
«المداح»
«رانيا وسكينة»
«بطلوع الروح»
«مين قال»

### art حكايات
«الاختيار 2»
«العائدون»
«الكبير أوي»
«مكتوب عليا»
«جزيرة غمام»
«دايما عامر»
«شغل عالي»
«السر»

### تلفزيون لنا
مسلسل «علي قيد الحب»
«كسر عضم»
حوازيق
«بروكار 2»
«مع وقف التنفيذ»

### الحياة
«دايما عامر»
«في بيتنا روبوت»
«يتيرن»
«جزيرة غمام»
«ملف سري»

Samedi 2 Avril 2022 n°13
السبت 2 نيسان 2022 العدد الثالث عشر

www.alqaous.com

# القوس

12 صفحة

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

## التحقيقات الجنائية في جريمة انصار: السبق الإعلامي أولاً [3-2]

الأخطاء الطبية

# قلق مبرّر

ترويكا الطبيب والنقابة والقضاء 7-6

تحقيق لا يحتمل التبسيط 9-8

صندوق أسود لـ«الوباء الصامت» 11-10

(هيثم الموسوي)

◆ متابعة

## ملاحظات أوليّة حول التحقيق في جريمة أنصار

# السبق الإعلامي أولاً

**العدل يستدعي الدقّة، والدقّة تستدعي الصبر. لكن بعد انتشار الخبر عن وقوع جريمة قتل مروعة راحت ضحيتها ثلاث شابات ووالدتهن، استعجل الجميع إنزال اشد العقوبات بحق الجناة قبل كشف الملابسات، وقبل ختم التحقيقات الجنائية وإحالة الموقوفين على القضاء المختص. تسابق الاعلاميون لجمع المعلومات من المحققين والعسكريين والقضاة وغيرهم ممن لم تهدأ هواتفهم الأسبوع الفائت، فيما لم يصدر عن القضاء أي بيان يقدم للجمهور أخباراً موثوقة عن إجراءات التحقيق وحقيقة ما جرى. تسريب التحقيق الجنائي يعدّ جريمة بحسب القانون اللبناني. لكن، في ظل الانحطاط الذي يمرّ به البلد، بات التسريب «على عينك يا تاجر»، من دون أن يكلّف القضاء نفسه ملاحقة أي من المسربين، خصوصاً إذا كانت هناك شبهة بأن المسرّب قاض او ضابط او مدّع عام. للمرة الالف نذكّر بوجوب الحفاظ على سرية التحقيق كي تنجلي الحقيقة ولا يفلت القاتل وتتحقق العدالة وتستعاد بعض الثقة بالمؤسسات التي تنهار على وقع الفوضى**

(انجل بوليغان ـ المكسيك)

■ جنان الخطيب، عمر نشابة

لم تتكشّف بعد كل ملابسات الجريمة المروّعة التي طالت أماً وبناتها الثلاث، في بلدة أنصار الجنوبية. في 25 آذار الماضي، صدر عن قيادة الجيش بيان أوضحت فيه ان دورية من مديرية المخابرات في بلدة أنصار «أوقفت المواطن (ح. ف.) للاشتباه بمشاركته في عملية خطف المواطنة باسمة عباس وبناتها ريما (مواليد 2000)، تالا (مواليد 2002)، ومنال (مواليد 2006) بتاريخ 2022/3/2». وأضاف أن «سلسلة تحقيقات أجريت مع الموقوف أفضت الى اعترافه بأنه قام بعملية الخطف بمشاركة السوري الفارّ (ح. غ.)، وانهما نقلا الفتيات المخطوفات ووالدتهن الى مغارة تقع في خراج البلدة المذكورة، حيث تمت جريمة قتلهن. بتاريخ 2022/3/27، تمكّنت دورية من مديرية المخابرات في منطقة البقاع من توقيف السوري (ح. غ.) المتهم بالمشاركة في تنفيذ عملية القتل، وبوشر التحقيق مع الموقوف بإشراف القضاء المختص».

انشغلت معظم وسائل الاعلام بنشر أخبار مسرّبة من دوائر التحقيق الاولي وإفادات قيل انها مدوّنة في محاضر الاستجواب. كما نقلت صوراً من مكان العثور على جثامين الضحايا، وعمّمت صور المشتبه بهما عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وسرعان ما تحول الأمر الى حملة واسعة للمطالبة بإعدامهما في ساحة البلدة، كما فعل بعض أهالي بلدة كترمايا (إقليم الخروب) بشخص اشتبهوا بارتكابه جريمة قتل مروعة في نيسان 2010. ففي مشهد من القرون الوسطى في اوروبا، سُحل المشتبه به يومها، وتعرّضت جثته للتنكيل في ساحة البلدة، قبل ختم التحقيق من دون معرفة كل ملابسات الجريمة والمشاركين فيها.

قد يكون الدافع الأساسي للمطالبين بإعدام المشتبه فيهما بارتكاب جريمة أنصار هو ردع المجرمين عن ارتكاب جرائم مماثلة من خلال تهديدهم بالقتل. لكن، بغضّ النظر عما إذا كان هذا يشكّل رادعاً حقيقياً أم لا، الا يفترض ان تنجلي الحقيقة كاملة قبل المطالبة بالقصاص من الجناة؟ ومن هي السلطة التي يثق بها الناس لكشف الحقائق؟ وسائل الاعلام السريعة أم القضاء البطيء؟

من اختار وسائل الاعلام وصلته «الحقيقة» وسمح لنفسه بالمطالبة بالقصاص. اما من لا يزالون يأملون، ربما، بإصلاح القضاء وبالعمل المهني والأخلاقي والقانوني واتباع الاجراءات والخطوات التي تدقّق في كل الاحتمالات قبل الحسم، فنعرض لهم في ما يأتي بعض الملاحظات الاولية عن التحقيق الجاري، ونلقي الضوء على بعض المحاذير.

### التعامل مع مسرح الجريمة

لا يمكن اعتبار المكان حيث تم العثور على جثامين الضحايا على انه مسرح الجريمة الحصري والوحيد. ففي العلم الجنائي، يعتبر «مسرح الجريمة»، على سبيل المثال لا الحصر:

◀ المكان حيث تم ارتكاب الجرم، القتل مثلاً.

◀ الوسيلة التي نقل المرتكب من خلالها الضحايا من مسرح الجريمة الأول الى مكان آخر، السيارة مثلاً.

◀ منزل المشتبه به/ الضحية.

◀ المكان حيث تم العثور على الضحية.

بالتالي، من المفترض التعامل مع المكان حيث تم العثور على جثامين الضحايا الأربع (المغارة) على أنه جزء من مسارح الجريمة، حتى يُثبَت علمياً انه مسرح الجريمة الوحيد.

ولم يثبت حتى كتابة هذا النص ما اذا كانت المغارة هي نفسها مكان ارتكاب جريمة القتل. إذ أن هناك احتمالاً بألا تكون «المغارة» مسرح الجريمة الأول حيث وقعت جريمة القتل، ولا بد من التدقيق في احتمال نقل الجثامين إليها لدفنهم.

من خلال الكشف الفني العلمي الدقيق على المغارة، يمكن تأكيد ما إذا كانت جريمة القتل قد تمت فعلاً فيها، وبالتالي تحديد موقع الضحايا ومطلق النار، وذلك من خلال تتبع وتحليل أنماط تناثر الدماء في المسرح المزعوم للجريمة. وكنا قد عرضنا في العدد الأول من «القوس» هذا الاختصاص العلمي وأهميته في الكشف عن معلومات مهمة تتعلق بتسلسل الأحداث.

الى ذلك، من المفترض البحث والتحرّي عن بقع الدماء التي ربما تم تنظيفها أو اخفاؤها لتضليل التحقيق، وذلك باستعمال تقنيات الإضاءة والاشعة المناسبة والفحوصات الكيميائية. ولا يفترض ان يقتصر هذا البحث على موقع المغارة وحده، بل أن يشمل المنطقة المحيطة بها والطريق الذي يوصل اليها. ولا بد أيضاً من معاينة سيارة المشتبه فيه بدقة عالية والتفصيل المملّ، للتحري عن أي آثار دماء او غيرها يمكن ان تفيد التحقيق.

يفترض اعتبار الأماكن التالية «مسارح جريمة» يحظّر الدخول اليها الا من قبل المحققين الجنائيين حتى ختم التحقيق:

◀ المغارة ومحيطها

لا يبدو ان مسرح الجريمة كان مغلقاً. اذ لم يمنع دخول أشخاص غير معنيين اليه، بل ظهر أنه كان مباحاً لمراسلي المحطات التلفزيونية الذين دخلوا إليه مع كاميراتهم والتقطوا صوراً نُشرت في وسائل الاعلام. هذا التصرف غير المهني يخرج عن الإطار الأخلاقي، وأدى على الأرجح الى تدمير وفقدان العديد من الأدلة الحيوية، إضافة الى أدلة أخرى سهلة التدمير كآثار الأحذية مثلاً. بالتالي، كان من المفترض حماية المغارة ومحيطها من العبث والتدخل البشري والظروف المناخية للتمكن من البحث عن بقايا أدلة الوفاة. فدرجة الحرارة في المغارة وعمق الحفرة والمواد التي طُمرت بها الجثث تؤثر على سرعة تحللها. وعدم الاهتمام بهذه العوامل من القائمين على التحقيق والطبيب الشرعي قد يؤدي الى سوء تقدير الوقت منذ الوفاة، وهو الأمر الذي يعتبر في هذه الجريمة من اهم الأدلة لمعرفة ما إذا تم قتل الضحايا في يوم الاختفاء نفسه ام انهن تعرضن للخطف أولاً.

> **من هي السلطة التي يثق بها الناس لكشف الحقائق؟ وسائل الاعلام السريعة ام القضاء البطيء؟**

> **رغم ان الجثث متحللة بدرجة عالية، بحسب ما نقل عن الطبيب الشرعي، الا ان الخبراء الجنائيين ما زالوا قادرين على رفع ادلة مهمة من الجثامين**

من المفترض ختم المنزلين بالشمع الأحمر لتمكين الخبراء من البحث الدقيق في كل الغرف ورفع الأدلة وتدوين الملاحظات التي يمكن ان تفيد التحقيق. وما رأيناه في الاعلام من دخول أحد المراسلين الصحافيين الى منزل الضحايا والعبث بمقتنياتهن، عدا عن انه غير أخلاقي ومعيب، يعدّ تدميراً لأدلة ظرفية مفيدة للتحقيقات.

### إكرام الميت كشف الحقيقة

صحيح ان إكرام الميت دفنه، الا ان إكرام الضحايا الأربع وذويهم يكون كذلك من خلال تحقيق العدالة وإحقاق الحق. ورغم من ان الجثث متحللة بدرجة عالية، بحسب ما نقل عن الطبيب الشرعي، الا أن الخبراء الجنائيين ما زالوا قادرين على رفع أدلة مهمة من الجثامين. إذ يفترض تشريح الجثث، وأخذ عينات من المناطق التناسلية والشرجية، وعينات من تحت الأظافر. وكنا قد قاربنا في «القوس» العدد الثاني أهمية الأدلة على يدي الضحية أو المشتبه به، كالخدوش الدفاعية مثلاً، وطريقة تناثر الدماء، وأدلة الأثر (شعر، الياف، تربة،... ) ودورها الأساسي في تحديد العلاقة، ليس فقط بين الضحية والجاني وانما مع مسرح الجريمة ايضاً.

من جهة أخرى، من المفترض الاخذ في الاعتبار ظروف المكان حيث دُفنت الضحايا، والتي لها تأثير مباشر على تحديد الوقت منذ الوفاة. فدرجة الحرارة في المغارة وعمق الحفرة والمواد التي طُمرت بها الجثث تؤثر على سرعة تحللها. وعدم الاهتمام بهذه العوامل من القائمين على التحقيق والطبيب الشرعي قد يؤدي الى سوء تقدير الوقت منذ الوفاة، وهو الأمر الذي يعتبر في هذه الجريمة من اهم الأدلة لمعرفة ما إذا تم قتل الضحايا في يوم الاختفاء نفسه ام انهن تعرضن للخطف أولاً.

### استباق نتائج التحقيقات

حسب القانون، المتهم هو من يصدر بحقه قرار اتهامي عن السلطات القضائية، الا ان الاعلام والمجتمع يتعاملان مع المشتبه بهما كمتهمين حتى قبل ختم التحقيقات وصدور نتائج المباحث الجنائية العلمية.

استباق نتائج التحقيق غالباً ما ينسف قرينة البراءة، وربما يؤدي - عن قصد او غير قصد - الى افلات مجرمين آخرين إضافيين يمكن ان يكونوا شركاء او مخططين او محرضين الخ.

وقد علت أصوات عديدة تطالب بإعدام المشتبه بهما قبل صدور القرار الاتهامي بحقهما عن القضاء المختص وقبل ختم التحقيقات.

لا يمكن الاعتماد على إفادات المشتبه بهما لإصدار الادانات والاتهامات والاحكام. فمن المفترض ان يتطابق سيناريو المشتبه بهما مع نتائج تحليل الأدلة في مسرح الجريمة. ويفترض ان تقوم المباحث العلمية بإعادة بناء مسرح الجريمة وتسلسل الاحداث، ومن ثم تقيّم المحكمة المستقلة مدى تقارب او تطابق «الأدلة في مسرح الجريمة وعلاقتها المتبادلة» مع «اعترافات المشتبه بهم». فمع تطور تقنيات التحقيق، لم يعد الاعتراف سيّد الأدلة، اذ يمكن ان ينتج عن تهديد او تعذيب او محاولة للتستر عن اشخاص آخرين، بينما الأدلة الجنائية لا تكذب ولا يمكن تزويرها اذا اتبعت الاجراءات المهنية بدقة، والاعتماد عليها أساسي للوصول الى الاستنتاجات العلمية والحكم العادل.

### السلاح المتفلت وصناعة الابطال

حسب ما نقل عن تقرير الطبيب الشرعي، جرى اطلاق النار على الضحايا ببندقية صيد. وهنا ايضاً نستعيد ما نشرناه في العدد السابع من «القوس» عن تراجع تنظيم السلاح الفردي في لبنان وترخيصه. علماً ان سلاح الصيد استخدم في العديد من جرائم القتل خلال السنوات العشر الفائتة.

وقد نقلت وسائل الاعلام روايات عن استدراج المشتبه به السوري الجنسية والقبض عليه، وترافق الخبر مع مشاهد تظهر اطلاق نار كثيف في الهواء بأسلحة حربية من اشخاص مجهولين. وكنا قد تناولنا خطورة الرصاص الطائش. ولم يتبين ما إذا قامت القوى الأمنية والضابطة العدلية بتوقيف أي من مطلقي النار واحالتهم على القضاء لمحاسبتهم.

### تحديد دوافع الجريمة عبر الاعلام

بحسب المعايير العلمية، عندما تكون الدوافع الجرمية غامضة او يصعب التعرف عليها، يتم تكليف خبير بالعلم الجنائي لتحديد وتقييم الاسباب التي دفعت الفاعل للقيام بالجريمة. فيصف الخبير الأسباب في خلفية المتهم (بيولوجية او اجتماعية او شخصية) والتي من المفترض أنها تسببت في الجريمة. أمّا في هذه القضية، فقد أخذ الاعلاميون وبعض الأطباء النفسيين هذه المهمة الدقيقة على عاتقهم. فبعض الاعلاميين وصف الدافع بـ «الذكوري التافه»، وخلص الى هذه النتيجة بعد تحليله الشخصي لإفادة المشتبه به المسربة. في حين ان طبيباً نفسياً واستاذاً جامعياً وجد ان المشتبه به «بسيكوباتي»، واعترى لقاءه الصحفي الكثير من التناقضات والمغالطات.

## في القانون

### أصول المحاكمات الجزائية

#### السرية التامة

المادة 42

يلتزم الضابط العدلي في جميع الإجراءات التي يقوم بها بالسرية التامة. إذا تمت إفشاؤه مضمون ما ضبطه من وثائق او رسائل او اي من الأسرار التي يحرص المشتبه فيه على إبقائها مكتومة فيلاحق أمام القاضي المنفرد الجزائي الذي يقع ضمن دائرته الفعل المشكو منه ويعاقب بالحبس من شهر إلى سنة وبالغرامة من مئة الف إلى مليوني ليرة او بإحدى هاتين العقوبتين.

#### الملاحقة

المادة 53

يبقى التحقيق سرياً ما لم تحل الدعوى على قضاء الحكم باستثناء ما يتعلق بالقرار الظني. يتعرض كل من يفشي سرية التحقيق للملاحقة امام القاضي المنفرد الذي يقع ضمن دائرته الفعل المشكو منه ويعاقب بالحبس من شهر إلى سنة وبالغرامة من مئة الف إلى مليون ليرة او بإحدى هاتين العقوبتين.

#### حلف اليمين

المادة 59

على قاضي التحقيق أن يصطحب، عند انتقاله إلى مكان الجريمة، كاتب دائرته. إذا استعان بكاتب من أفراد الضابطة العدلية فيجب أن يحلفه اليمين بأن يقوم بعمله بأمانة وإخلاص وأن يحافظ على سرية التحقيق.

#### التسريب

المادة 579

من كان بحكم وضعه او وظيفته او مهنته او فنه، على علم بسر وأفشاه دون سبب شرعي او استعمله لمنفعته الخاصة أو لمنفعة آخر عوقب بالحبس سنة على الأكثر وبغرامة لا تتجاوز الأربعمئة الف ليرة إذا كان الفعل من شأنه أن يسبب ضرراً ولو معنوياً.

#### السرية المهنية

إن رجال قوى الأمن الداخلي مقيدون بالسر المهني حول ما يتصل بهم من معلومات بحكم عملهم ولا يجوز لهم إبلاغ هذه المعلومات إلا إلى السلطات صاحبة الصلاحية في الإطلاع عليها كما لا يجوز لهم الإفصاح عن هوية المخبرين إلى اي مرجع او اي سلطة إلا إذا حلهم من هذا القيد المخبر نفسه.

(المادة 226 ـ قانون تنظيم قوى الامن الداخلي رقم 17/1990)

◆ في العمق

نسبة ضئيلة من الشكاوى في ادراج نقابة الاطباء تُصنَّف «اخطاء طبية». لكن رئيس لجنة التحقيقات في نقابة الاطباء الدكتور مروان الزغبي يشدد على ان النقابة تقوم بواجباتها بدقة وتحقق في كل الشكاوى بأمانة. قد يُفسّر الامر، خلافاً لما يؤكده الزغبي، بنوع من «الحصانة القانونية» التي تجعل الطبيب غير قابل للمساءلة ومحمياً من النقابة. جزء من الاطباء، يرجع الامر إلى انه غياب تعريف واضح للاخطاء الطبية في اذهان الناس، وجزء آخر يفسره على انه «غياب للمحاسبة العادلة في نظام التعامل مع الاخطاء الطبية»، فماذا يعني هذا الكلام؟

# التحقيق في الأخطاء الطبّية
# الاطمئنان المفقود

■ إقبال زين

لا يتجاوز عدد الشكاوى المحالة إلى لجنة التحقيقات في نقابة الأطباء خلال السنوات الأربع الماضية 100 شكوى بحسب رئيس لجنة التحقيقات في نقابة الأطباء الدكتور مروان الزغبي الذي قدر نسبة الأخطاء الطبية بين 10 و20% من الشكاوى. يبدو العدد ضئيلاً نسبة لما يعرض بهذا الشأن في وسائل الاعلام. ولا يوجد دليل ما إذا كانت هذه الأرقام تعكس بدقة أعداد شكاوى المرضى وذويهم حيث أن العدد الأكبر منها يقدم الى إدارة المستشفى لا الى النقابة. كما ان بعض ذوي المرضى يشتبهون بإهمال النقابة لبعض الشكاوى وتجاهل بعض الأخطاء. "ما فائدة التحقيق اصلاً؟" تسأل زينة بنبرة منخفضة، "هل سيعيدون ابني سليماً كما كان؟" هي والدة طفل مريض لم يتم تشخيصه في مراحل مبكرة بمرض التاعور (الهيموفيليا) هو اضطراب نادر يتسبب في عدم تجلط الدم على نحو طبيعي بسبب نقص البروتينات اللازمة. ولدى سؤالها عن سبب عدم التشخيص المبكر أجابت من دون تردد «بسبب إهمال الطبيب». ولدى سؤالها عن الشكوى التي يفترض ان ترفعها أجابت ان الأطباء «يغطون على أخطاء بعضهم». لكن موسى، الطبيب الإختصاصي في أمراض القلب والشرايين، يؤكد أن الأخطاء الطبية مجرد أخطاء ولا نوايا جنائية أو دوافع تحركها، وأن «نقابة الأطباء لا تحمينا بالشكل الذي تتصورونه». وجهتان من كوكبين مختلفين تطرحان أسئلة كثيرة حول واقع نظام التعامل مع الأخطاء الطبية في لبنان. الموضوع يثير مزاجاً غاضباً في التفاعل مثلما حدث في حادثتي الطفلتين إيلا طنوس وصوفي مشلب اللتين كانتا قتيل تشكيك ثقيل بمصداقية القطاع الطبي والاستشفائي في لبنان. اتُّهمت نقابة الأطباء وهيئة التحقيقات بتزوير المستندات والتلكؤ عن محاسبة الأطباء. أما وسائل الاعلام فتداولت أخباراً تحت عناوين مثل «الأخطاء الطبية في لبنان بالمئات». وللمفارقة، فقد عبرت وسائل إعلامية أخرى عن ضعف الإحصائيات في هذا الشأن. ما معنى الخطأ الطبي أساساً؟ إجابة هذا السؤال تفسّر الكثير من القضايا بين الناس والأطباء وحكم القانون.

> يحمّل معظم الأطباء الذين تحدثوا الى "القوس" المسؤولية لوسائل الإعلام إذ يدّعون أنها «تمارس دوراً سيئاً»

> وجود علاقة تعاقدية بين المريض والطبيب أمر ضروري وإلا لا يمكن مساءلته

نص القانون اللبناني على تخصيص واجبات معينة على الطبيب كالتي جاءت بها "الأنظمة والأصول الطبية والأعراف المهنية. وبرغم عدم تعريف تشريعي للخطأ الطبي، لكنه يصور على أنه «كل إنحراف للطبيب عن الأصول العلمية التي حددها الطب». يخضع الطبيب لأحكام قانون الآداب الطبية رقم 1994/288 معدلاً. بالإضافة لأحكام القواعد العامة التي ترعى المسؤولية المدنية في قانون الموجبات والعقود ولأحكام المسؤولية الجزائية الواردة في قانون العقوبات.

### الخطأ الطبي بين العلم والإعلام

تتحرك لجنة التحقيقات في نقابة الأطباء بالتحري لإثبات وقوع خطأ طبي عند وصول شكوى. وتسعى اللجنة مبدئياً الى حل الخلاف بالتراضي من دون اللجوء إلى القضاء. لكن عند الوصول إلى مفترق طرق مع أهل المريض، تذهب اللجنة إلى تحديد المسؤولية الطبية من خلال التحقق في مدى تقيد الطبيب المتهم بالأصول العلمية في العلاج. يقول الدكتور مروان الزغبي لـ «القوس» إنهم ينظرون في كل الزوايا من ناحية الضرر، وظروف الطبيب، وإمكانيات المستشفى، ومدى الجهد المبذول، ويؤكد أن «وجود علاقة تعاقدية بين المريض والطبيب أمر ضروري وإلا لا يمكن مساءلته». من جانب نظري، يمكن عدّ الفشل في التشخيص أو القيام بعملية غير ضرورية أو وصف جرعات دوائية زائدة مثلاً أخطاء طبية. ولا بد أن تحلل اللجنة سياق "الخطأ الطبي" لتحديد المسؤوليات. كما أن وقوع ضرر على المريض او وفاته لا يؤدي بالضرورة الى إدانة الطبيب، خصوصاً إذا لم تكن هناك علاقة سببية واضحة بين الضرر او الموت وتصرف الطبيب. السؤال الأساسي الذي يفترض ان يطرح خلال التحقيق وفقًا للزغبي هو «هل كان هناك شيء يجب أن يفعله الطبيب وتخلف عنه لانقاذ المريض أو لتخفيف الضرر؟»

لكن غالباً ما تستبق وسائل الاعلام صدور نتائج التحقيق وتنشر بعض الصحف والتلفزيونات أجزاء من التقارير يمكن ان تضلل الرأي العام وتسهّل الإدانة قبل صدور الحكم النهائي عن الهيئة النقابية والقضاء المختص.

ويحمّل معظم الأطباء الذين تحدّثوا الى "القوس" المسؤولية لوسائل الإعلام إذ يدّعون أنها «تمارس دوراً سيئاً» في هذا الملف حين تعرض وجهة نظر أهل المريض وتتجاهل المعلومات العلمية والأصول الطبية والمعطيات المخبرية. فحتى لو أثبتت التحقيقات براءة طبيب بعد الاطلاع على المستندات العلمية، كيف سيعوض الضرر؟ وهل سيصدق الناس أن الطبيب الذي كان الاعلام قد ادانه بريء فعلاً؟

تشرح الاختصاصية في علم النفس العيادي في الجامعة الأميركية في بيروت الدكتورة دينا عينا أن العديد من الناس «لا يفرّقون بين القصور الطبي والإهمال الطبي» وبالنسبة لهم تقع المسؤولية دائماً على الطبيب اذا تدهورت صحة المريض. يوافقها الطبيب الاختصاصي بأمراض القلب والشرايين الدكتور موسى يوسف، ويلفت إلى «غياب ثقافة طبية إعلامية" محملاً مسؤولية التضليل الإعلامي لبعض وسائل الإعلام ولوزارة الصحة ونقابة الأطباء.

### تقييم الضرر والمنافسة بين المستشفيات

كيف تقوم لجنة التحقيقات في نقابة الأطباء بالتحري عن وقوع خطأ طبي؟ يشير الزغبي إلى أن النقابة وضعت «نظاماً داخلياً جديداً وواضحاً لسياسة التحريات» يعتمد على مراجعة ملف المريض في المستشفى أولاً للتحقق من المسؤولية «من دون طلب رأي المستشفى» إضافة إلى الاطلاع على مدونات الطبيب والممرضة والفحوصات وأقوال أهل المريض وما تم صرفه في الصيدليات. ويؤكد رئيس لجنة التحقيقات على أن الملف ليس سرياً، و«لا شكاوى نائمة في الأدراج بعد الآن»، إذ يمكن لأي طرف معني أن يبدي رأيه في الحادثة ويناقش فيها. علماً ان بعض الأطباء الذين رفضوا نشر أسمائهم تحدثوا عن وجود "محسوبيات ومصالح وأجندات بين المستشفيات"، وعن "غياب جهة محايدة لإثبات وجود خطأ طبي". ويلفت أحدهم الى «التغاضي عن اخطاء كارثية لأطباء مشهورين في الوقت الذي يحساب فيه أطباء آخرون عن ذنب لم يرتكبوه فقط بسبب الخضوع إلى ضغوطات إعلامية».

### مراجعة المدونات الطبية: هل تكفي؟

تقودنا الحوادث السابقة التي أذيع فيها عن تلاعب بمستندات التحقيق إلى السؤال حول إذا ما كانت آلية التحقيقات التي تعتمدها لجنة التحقيقات كافية. فقد يبدو التوقف عند مراجعة المدونات العلمية أمراً غير كاف بسبب كثرة المعطيات المتغيرة التي قد تؤثر عليه خصوصاً أن أهل المريض قد يغفلون عن طلب نسخة «أصلية» للملفات الصحية، بخاصة إذا كان بينهم وبين الطبيب صداقة أو قرابة أو علاقة ثقة بالمجمل. كما أن ابتزاز أهل المريض ليس صعباً من أجل تلفيق الأقوال والمعطيات. فهل تكفي هذه المدونات حقاً؟ يرد يوسف بأن هذه المدونات «هي الأساس عند القيام بتحقيق»، وتتردد عينا في حسم «إمكانية للتلاعب بالمعطيات». تتفاقم المشكلة في ظل ضعف التوثيق الصحي عموماً في لبنان، عدا عن وجود المحسوبيات والأجندات الاستشفائية. وقد تناولت دراسة اكاديمية وضعتها مديرة طبية في مستشفى فينكس للأطفال في الولايات المتحدة الاميركية الحاجة إلى وجود اختصاصيي سلوكيات بشرية عند دراسة المعطيات التي يقدمها الجسم التمريضي. فالأطباء والممرضون «ينقلون الأحداث بشكل مشوش أو غير كامل عند التعرض للضغوطات».

### لماذا تحدث الاخطاء الطبية؟

يحمّل النظام العام بمستشفياته ووسائل إعلامه ومواطنيه الأطباء «أكثر من طاقتهم»، بحسب الدكتورة عينا، التي تلفت إلى أن حدوث خلل في القطاع الصحي لا تقع مسؤوليته على كاهل الطبيب وحده، لأنه جزء من القطاع ولكن هناك جسم إداري وتمريضي وهناك معدات ومختبرات وغيرها من العناصر التي تكون مسؤولة أحياناً عن حدوث خلل. وتضيف أن ازدياد الضغوطات الاجتماعية والمادية والشخصية «يرفع احتمال ارتكاب أخطاء في كل المجالات بما في ذلك المجال الطبي». ويتفق الأطباء عموماً على ثلاث نقاط يعتقدون بأنها تساهم في وقوع الأخطاء الطبية: ضعف المتابعة العلمية المستمرة، والخجل من إظهار الطبيب عن جهله أو اللجوء إلى استشارة اختصاصيين عند الشعور بالعجز، والكلفة الباهظة لفحوصات الأطباء والمتابعة الطبية بشكل عام. يؤكد يوسف أن النقطة الأخيرة «من مسؤولية النقابة بشكل أساسي». فالمرضى لم يعد لديهم قدرة مادية تكفي للمتابعة الاستشفائية، خصوصاً في ظل عدم وجود تشريع يحدد سقفاً لفحصية الطبيب، ما يعني ارتفاع خطورة حصول أخطاء طبية، إذ أصبح هناك تفاوت كبير بين بدلات الأتعاب التي يطلبها الأطباء، ما سيعزز الطبقية بين المرضى وسيجبر الفقراء إلى اللجوء إلى أطباء غير مؤهلين أو مرخصين أو متابعين لتطورات المهنة.

> الاطمئنان نصف الدواء والصبر أول خطوات الشفاء
>
> إبن سينا امير الاطباء وصاحب موسوعة «القانون في الطب» (1020م)

### معجم الأخطاء الطبية

■ **عدم التبصر:** غياب الحذق أو الدراية و نقص المهارة.

■ **عدم الاحتياط:** إقدام الطبيب على عمل طبي خطير مدركاً خطورته ومتوقعاً ما يحتمل أن يترتب عليه من مضاعفات سلبية، من دون أخذ الإحتياطات التي من شأنها الحيلولة دون حصول هذه المضاعفات.

■ **الإهمال وعدم الإنتباه:** أن يقف الفاعل موقفاً سلبياً، فلا يتخذ واجبات الحذر التي تحول دون وقوع النتيجة الإجرامية، والإهمال قد يقع بفعل الترك أو الإمتناع. كما أنه قد يتحقق عندما يدرك الجاني الأخطار التي تترتب على مسلكه ورغم ذلك لا يتخذ الاحتياطات اللازمة لتجنبها.

■ **عدم مراعاة النظم والقوانين:** يكفي ثبوتها لقيام مسؤولية جنائية غير عمدية في حق الفاعل.

## أزمة ثقة تحتاج الى علاج

**نور كانت تعاني من اوجاع في البطن ولدى لجوئها الى الطبيب قرر إجراء عملية جراحية لها بعدما زعم انها تعاني من التهابات في «الزائدة». لكن عندما زارت طبيباً آخر تم تشخيصها بالسحايا. فكرت اسرة نور بتقديم شكوى ضد الطبيب والمستشفى لكن «الطبيب الذي عالجني اخيراً في المستشفى هو الذي نصح والدتي بعدم رفع شكوى لان الشكوى ستنام في الادراج». فكيف لنور ولغيرها من المرضى الذين تبين لهم عدم ثقة الاطباء ببعضهم وتشكيكهم في دور نقابتهم وفعالية لجنة التحقيقات فيها، ان تثق بالقطاع الطبي في لبنان؟**

**صحيح ان المعلومات التي قدمها الدكتور زغبي والتي عرضنا بعضها في هذا المقال قد تساهم بتوضيح بعض الجوانب المتعلقة بالأخطاء الطبية غير ان هناك حاجة لاستعادة الثقة بين المرضى وذويهم والاطباء من جهة وبين الاطباء انفسهم من جهة ثانية. وقد يكون وضع ميثاق شرف اعلامي لتغطية الاخبار عن الاخطاء الطبية بدقة وأمانة ومن دون التعرض لقرينة البراءة بداية حل يساهم في تخفيف التعرض لسمعة الاطباء ويعيد جزءاً من ثقة الناس بالقطاع الطبي.**

◆ في العمق

# ترويكا الطبيب والنقابة والقضاء

## المادة 2

من قانون الآداب الطبية المعدل 240/ 2012

رسالة الطبيب تتمثل في المحافظة على صحة الانسان الجسدية والنفسية وقائياً وعلاجياً، وإعادة تأهيله والتخفيف من آلامه ورفع المستوى الصحي العام

**«كل طبيب مسؤول عن أعماله المهنية» بهذه العبارة يفتتح قانون الآداب الطبية المعدل في العام 2012 الفصل المتعلّق بالمسؤولية الطبّيّة، إلا أنه يخلو من تفنيد مسؤولية الطبيب عن أخطائه الطبية تجاه المرضى التي يعود التدقيق فيها وإثباتها الى القضاء وإلى نقابة الأطباء. ففي حين يستعين القضاء بالخبرة الطبية، يفترض أن تستعين نقابة الأطباء بلجنة التحقيقات المهنية وبمجلسها التأديبي ولجانها العلمية المختصة لمعالجة موضوع أخطاء الأطباء في لبنان**

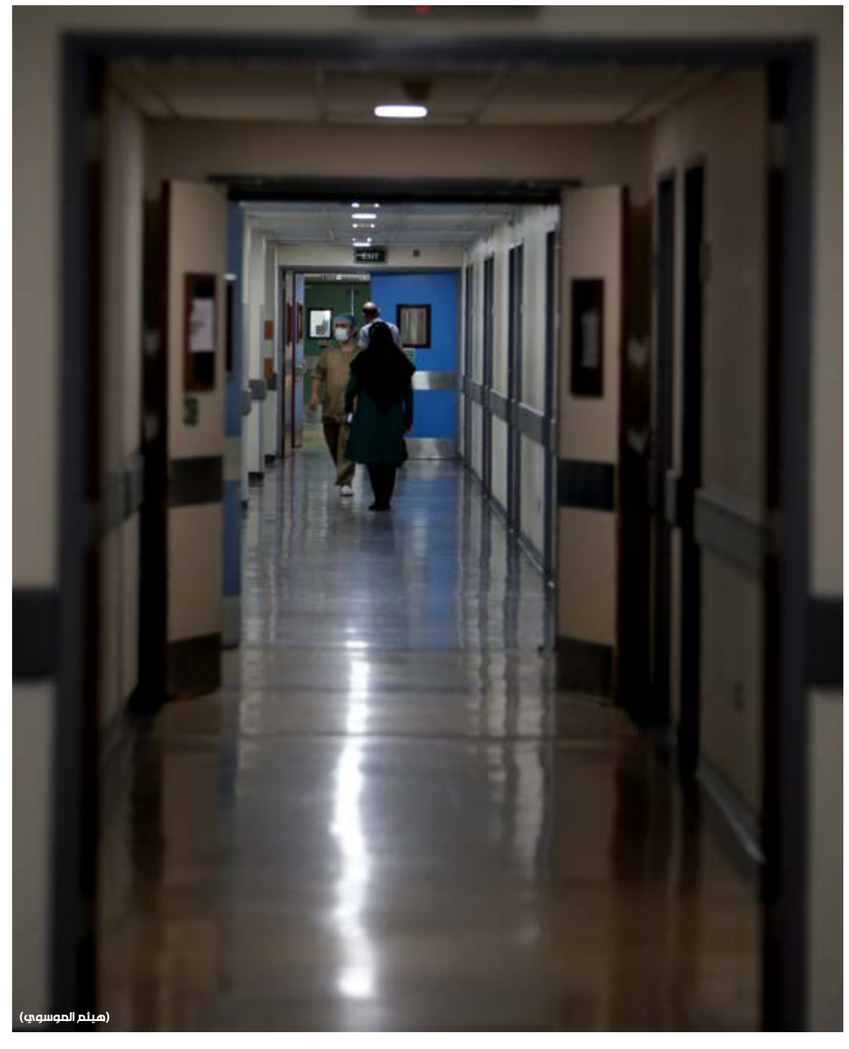
(هيثم الموسوي)

■ صادق علوية

ليس من واجب الطبيب قانوناً أن يحقّق الشفاء للمريض بل ينحصر واجبه في مجرّد بذل العناية لتحقيقه، عبر مراعاة القواعد الطبية الحديثة في إطار ما يلتزمه الأطباء ذوو الكفاءة والخبرة المتوسطة في الميدان نفسه من دون ارتكاب أي إهمال أو خطأ. كلّ إخلال بهذه العناية يعرّضه للمسؤولية الجزائية والمدنية في حال تم إثباته وفق الأصول القانونية. وقد أكدت المادة 28 من القانون 2012/240 (تعديل قانون الآداب الطبية) على عدم التزام الطبيب بموجب نتيجة معالجة المريض بل بموجب تأمين أفضل معالجة مناسبة له إلا أنها أكدت في المقابل على أنه يترتب على الطبيب أن يقوم بالتشخيص والعلاج اللازمين وفقاً للمعطيات العلمية الحديثة وأن يسهر على متابعة تنفيذ العلاج بعد إعطائه وتحديده للعلاج الواجب اتباعه.

### القانون لا يشترط إذن النقابة

حين يثبت وجود خطأ طبي، من الواجب أن يُلاحق الطبيب عن فعله جزائياً، مدنياً ومسلكياً، إلا أن الملاحقة الجزائية تصطدم أحياناً بالمادة 44 من قانون نقابة الأطباء رقم 313 تاريخ 2001/4/6 التي تنص على أنه «عند ملاحقة الطبيب جزائياً، للنقابة أن تبدي رأيها العلمي خلال خمسة عشر يوماً حول ما إذا كان الجرم المدعى به ناشئاً عن ممارسة المهنة، وفي هذه الحالة يجري استجواب الطبيب الملاحق بحضور نقيب الأطباء أو من ينتدبه لهذه الغاية»، علماً أنه لا يجوز التوقيف الاحتياطي للطبيب الملاحق بجرم ناشئ عن ممارسة المهنة قبل أن تبدي النقابة رأيها ضمن مهلة الخمسة عشر يوماً.

> **حين يثبت وجود خطأ طبي، من الواجب أن يُلاحق الطبيب عن فعله جزائياً، مدنياً ومسلكياً**

لكن محكمة التمييز تعتبر أن تحريك الدعوى العامة لا يعلق على جواب نقابة الأطباء أو موافقتها في حال كان الجرم المنسوب إلى الطبيب ناشئاً عن ممارسة المهنة، وبالتالي إن القانون لم يشترط الاذن من النقابة لأجل ملاحقة الطبيب جزائياً وليس هناك من قيد على تحريكها هذا. في المقابل، فإن المشرع منح الطبيب الحق في الاستفادة من حضور مندوب عن نقابة الأطباء جلسة استجوابه واشترط عدم حصول التوقيف الاحتياطي قبل مرور مهلة الخمسة عشر يوماً الممنوحة للنقابة لإبداء رأيها، (قرار محكمة التمييز 2012/376).

### بين الخطأ والقصد

الأخطاء الطبية التي تفضي إلى الوفاة أو الإيذاء ليست عملاً مقصوداً وإنما كما يعبّر عنها اسمها هي «خطأ» يندرج تحت عنوان «القتل والإيذاء عن غير قصد» المنصوص عنها في المادة 564 وما يليها من قانون العقوبات. فمن تسبب بموت أحد عن إهمال أو قلة احتراز أو عدم مراعاة القوانين أو الأنظمة يُعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات. وإذا لم ينجم عن خطأ المجرم إلا ايذاء تسبب بمرض وتعطيل عن العمل لأكثر من عشرين يوماً أو بعاهة دائمة أو بإجهاض حامل، حدد العقاب من شهرين الى سنة ويعاقب على كل ايذاء آخر غير مقصود بالحبس ستة أشهر على الأكثر أو بالغرامة فضلاً عن التعويض المادي الذي يقرره القضاء.

### دور النقابة واسباب التشكيك

يفترض أن تثبت الصلة السببية بين الضرر وفعل الطبيب أو إهماله لكي تتحقق مسؤوليته. وهنا يبرز دور نقابة الأطباء عبر لجنة التحقيقات المهنية التي تتولى درس الأمور والنزاعات الناشئة بين الأطباء، أو بينهم وبين مرضاهم والمحالة إليها من النقيب أو من المجلس. تتألف اللجنة من رئيس وعضوين ينتخبهم مجلس النقابة من بين أعضائه سنوياً. وعليها أن تجري التحقيقات اللازمة عند الاقتضاء وأن ترفع تقريرها إلى مجلس النقابة. ولها أن تستعين عند الحاجة وعلى سبيل الخبرة، بالأطباء والأساتذة الجامعيين وبالمستشار القانوني للنقابة.

من جهة أخرى يمكن لنقابة الأطباء عبر مجلسها التأديبي تطبيق العقوبات اللازمة على الطبيب المرتكب بدءاً من التنبيه أو اللوم أوالتوقيف المؤقت عن العمل ومنع مزاولة المهنة لمدة لا تتجاوز الستة أشهر، وصولاً إلى المنع من ممارسة مهنة الطب نهائياً. وما تقتضي ملاحظته عبر متابعة الدعاوى ذات الصلة بالأخطاء الطبية أن القضاء لم يكن يكتفي أو يستند إلى لجنة التحقيقات المهنية وحدها التي غالباً ما اعتبرها المرضى أو ذووهم منحازة إلى الطبيب، أو أن العمل الانتخابي للنقابات المهنية يطغى على عملها الرقابي، خاصة إذا ما علمنا أن المجلس التأديبي يتألف من النقيب أو من نائبه رئيساً ومن عضوين من مجلس النقابة وعضوين تنتخبهما الجمعية العمومية لمدة ثلاث سنوات. وكذلك لجنة التحقيقات المهنية التي تُنتخب أيضاً، ففي الوقت الذي يكون دور نقابة الأطباء الدفاع عن الأطباء يقتضي أن يتوازن هذا الدفاع مع مبدأ إحقاق الحق فالنقابة ليست محامياً مكلفاً بالدفاع عن الطبيب المرتكب ولا يمكن أن تكون غايتها حماية المرتكب، فمن واجبات الطبيب نحو المريض تحديث معطياته العلمية، فإذا قبل الطبيب معالجة مريض، ينبغي أن يلتزم بتأمين استمرار معالجته بكل دقة وضمير حيّ ووفقاً لأحدث المعطيات العلمية التي ينبغي أن يكون قد تابع تطورها عملاً بنص الفقرة 2 من المادة 27 من قانون الآداب الطبية المعدّل.

مع الإشارة إلى أن القانون يلزم المجلس التأديبي بأن يصدر قراره خلال شهرين من تاريخ الشكوى، وإذا خالف ذلك يحق لكل من النقيب والنيابة العامة أن ينقل القضية إلى محكمة الاستئناف.

يقع عبء إثبات الخطأ الطبّي على عاتق المتضرّر عبر إثبات خطأ الطبيب أو إهماله ما يدفع بالقضاة إلى الاستعانة بخبراء طبيين وهذا ما تفعله دائماً المحاكم المختصة عبر الاستعانة بخبير من أهل المهنة او تكليف لجنة من الخبراء. وقد نصت المادة 41 من قانون الآداب الطبية المعدّل، أن على الطبيب المكلف بمهمة خبير أن يعلن للشخص المكلف بمعاينته عن صفته ومهمته قبل المباشرة بالمعاينة، وعليه أيضاً أن يعتزل المهمة فوراً إذا لاحظ أن الأسئلة المطروحة عليه تخرج عن نطاق مهنته الطبية. وعليه أن يقتصر في تقريره على الإجابة على الأسئلة المطروحة، وألا يتعرض لأمور قد تظهر له بمناسبة القيام بمهمته، إذا كانت خارجة عن نطاق هذه المهمة، إلا إذا قدّر أن السكوت عنها يسيء إلى سير العدالة. ويُعفى الطبيب الخبيرمن واجب السرية المهنية، حين يُدعى من المحكمة بصفة خبير لمعاينة مريض أو لدراسة ملفه، وذلك في حدود المهمة المكلف بها.

كما يحق للقاضي المحقق أو للشرطة القضائية تفتيش عيادة طبيب أو قسم طبي ووضع اليد على مستندات طبية بحضوره وبحضور أحد اعضاء مجلس النقابة. ولا يحق عندئذٍ للطبيب أن يعارض إجراءات التفتيش وفقاً لنص الفقرة 7 من المادة 29 من قانون الآداب الطبية 2012.

يحق لكل مريض يتولى أمر العناية به طبيب أو مؤسسة صحية، أن يحصل على المعلومات الكاملة حول وضعه الصحي. وتشمل هذه المعلومات: الفحوصات، والعلاجات، والعمليات الطبية المقترحة، كما تشمل منافعها ومضاعفاتها السلبية، والمخاطر المعهودة أو الكبرى التي تنطوي عليها، والحلول الأخرى الممكنة، فضلاً عن النتائج المتوقعة في حال عدم إجرائها. ويقتضي في حال طرأت لاحقاً معطيات جديدة تستدعي اتخاذ قرارات جديدة، إعلام المريض بها ايضاً، عند الإمكان.

لا يجوز القيام بأي عمل طبي، ولا تطبيق أي علاج، من دون موافقة الشخص المعني المسبقة، إلا في حالتي الطوارئ والاستحالة. ويجب أن تعطى هذه الموافقة بوضوح، أي أن تسبقها جميع المعلومات الضرورية، كما يجب أن يقررها المريض بحرية ويتمكن من التراجع عنها ساعة يشاء. كذلك، يجب أن تجدد هذه الموافقة من أجل أي عمل طبي جديد لم يكن ملحوظاً مسبقاً، إلا في حالتي الطوارئ والاستحالة. يكون التعبير عن هذه الموافقة خطياً للعمليات الجراحية الكبيرة. ويمكن إخضاعها لشروط اضافية في حالات معينة، كوضع الحد طبياً للحمل، واستئصال الأعضاء وزرعها، والمساعدة الطبية على الإنجاب، والمشاركة في الأبحاث السريرية. ويستطيع أي شخص مريض أن يرفض عملاً طبياً أو علاجاً معيناً، كما يستطيع أن يوقف هذا العلاج على مسؤوليته الخاصة. والطبيب ملزم باحترام هذا الرفض، بعد ان يكون قد أعلم المريض بعواقبه، ولذلك يستطيع أن يقترح هو نفسه على المريض استشارة طبيب آخر. أما في حال رأى أنه لا يستطيع ان يؤمّن العناية الطبية اللازمة وفقا للشروط التي يحددها المريض، فيمكنه أن يطلب من هذا الأخير أن يعفيه من مسؤولياته.

> **يحق للقاضي المحقق او للشرطة القضائية تفتيش عيادة طبيب ووضع اليد على مستندات طبية بحضوره وبحضور أحد أعضاء مجلس النقابة**

### القانون يحمي المرضى

القانون رقم 574 المتعلق بحقوق المرضى والموافقة المستنيرة الصادر في العام 2004 أعطى المريض خمسة حقوق:

- الحق في العناية الطبية
- الحق في الحصول على المعلومات
- ضرورة الموافقة على العمل الطبي
- في احترام الحياة الشخصية وسرية المعلومات المتعلقة بها
- الحق في الاطلاع على الملف الطبي

تحت القوس

## قلف مبرّر

■ عمر نشابة

تحدق سيدة خمسينية في جدران غرفة الانتظار وتبدو ملامح الخوف على وجهها. تلمح ممرضاً من بعيد. تتوجه نحوه بسرعة لتسأله عن وضع ابنتها التي لم يمر على إدخالها غرفة العمليات الجراحية في المستشفى أكثر من ربع ساعة.

لا شيء يمكن أن يبدّد قلق الأم مع أن العملية بسيطة والجرّاح مشهود له والمستشفى عريقة. فعوضاً عن قلق الأهل التقليدي على أولادهم تشكل قضيتا الطفلتين إيلا طنّوس وصوفي مشلب مصدر توتر وقلق إضافي.

كانت وسائل الإعلام قد نشرت أخباراً وتقارير عدة عن القضيتين، ما أثّر سلباً على سمعة المستشفيات والأطباء في لبنان. وانتشرت بين الناس روايات عن أخطاء مقصودة بحق المرضى واعتداءات عدّها البعض موصوفة على حقوق المرضى في المستشفيات. وبطبيعة الحال جذبت تلك الروايات كثيراً من الناس، واتّهم بعضهم العاملين في القطاع الطبي بالفساد وسوء النيّة.

وبالتالي، لا يقتصر القلق السائد على ذوي المرضى بل يشمل الأطباء أيضاً. فالحكم القضائي الذي أدان زملاءهم كان صادماً بالنسبة إليهم. ولا شك أن عدداً من الأطباء باتوا يترددون في قبول معالجة بعض المرضى خصوصاً الأطفال الذين يعانون أمراضاً خطيرة قد تستدعي عملية جراحية خطيرة.

المستشفيات تشكي نقص الموارد المالية والبشرية، وقد هاجر أطباء كثيرون إلى دول الخليج، لكن عدداً لا يستهان به منهم بقوا هنا، وما زالوا يتمسكون بالقيام بعملهم وعلاج المرضى بشكل يتناسب مع المعايير المهنية والأخلاقية والقانونية.

وتيرة قلق هؤلاء كما المرضى وذويهم، مرتفعة في بلد يعاني من قضاء عاجز وغير قادر على السير في المحاكمات العادلة.

الخطأ الطبي يحصل في كل دول العالم وفي أفضل المستشفيات. أكثر الأطباء كفاءة وخبرة يرتكبون أحياناً أخطاء ليس بسبب سوء النية او قصد الأذية بل أولاً لأن «لا أحد معصوم عن الخطأ»، وثانياً لعدم توفر بعض الموارد المادية والبشرية والتنظيمية المناسبة، وثالثاً لأن بعض العاملين في القطاع الطبي، كما في غيره من القطاعات، لا يعملون بالجدّية المطلوبة، ورابعاً لصعوبة نجاح التدخل الطبي في بعض الحالات المستعصية أو لعدم ظهور إشارات واضحة تدل على وجود خطر يتهدد حياة الانسان رغم الفحوصات المخبرية وصور الأشعة وغيرها من وسائل المعرفة التي تبقى محدودة رغم التطور التكنولوجي.

الموضوع قد يستدعي الاتفاق الشامل على معالجة جراحية للتعامل المسؤول مع الأخطاء الطبية في لبنان بين وزارة الصحة ونقابة الأطباء والقضاء والبرلمان ووسائل الإعلام. ولا بد من التشديد على حسن النية. فمهما تعددت القوانين والأنظمة ومهما تطورت وسائل المراقبة والتعقب تبقى علاقة الثقة بين الطبيب والمريض انطلاقاً من حسن نية الطبيب هي الأساس. وتعالج بالتالي الأخطاء بعدل وإنصاف، ويكرَّس الحرص على سلامة المرضى وعلى سمعة المستشفيات والأطباء وسائر العاملين في القطاع الصحي في بلدنا المريض.

◆ المختبر الجنائي

## التحقيقات الجنائية في سوء الممارسة الطبّية

# تحقيق لا يحتمل التبسيط

في التحقيقات القضائية لسوء الممارسة الطبية المشتبه بها، يعدّ تشريح الجثة اساسياً باعتباره الإجراء التشخيصي الاكثر اكتمالاً الذي يمكن من خلاله جمع الكثير من المعلومات حول صحة المريض المتوفى ووضعه الفيزيولوجي قبل الوفاة. وحين يكون الإجراء الطبّي المشتبه به غير مميت، بل نتج عنه إصابات أو عاهات، فيمكن الاستعانة بخبراء العلم الجنائي الوبائي لدراسة العلاقة السببية بين الاجراء الطبّي والانعكاسات الصحية، بالإضافة إلى التقييم السريري لوضع المريض. لكن بما ان الاخطاء الطبية تعرّض صحة وحياة المريض للخطر، وبما ان شكوى سوء الممارسة الطبية تُعرّض سمعة الطبيب، وتطوره المهني للإساءة، لا بدّ من تطوير وتوحيد آليات التحقيقات الجنائية العلمية والوبائية لضمان التحقيق الكامل في هذه القضايا، ومن أجل تحديد ما إذا كانت الوفاة أو الانعكاسات الصحية بسبب خطأ طبي او إهمال او فعل متعمّد او لاسباب أخرى

**74,5 مليون دولار**

**قيمة تعويض لاسرة بسبب الإهمال الطبي في كاليفورنيا، حيث فشل الاطباء في ولادة الطفل بشكل صحيح، فالطبيب المسؤول لم يستخدم الملقط اثناء الولادة وفشل في تقييم الانقباضات. نتيجة لذلك اصيب الرضيع بشلل دماغي**

■ **جنان الخطيب**

أثيرت شكوك بعد وفاة المريض. كُلّف طبيب شرعي، بناء على إشارة القضاء المختص، لتشريح الجثة وأُخِذت عينات دماء من المتوفي لتحليل السموم بعد الوفاة. أجرى الخبراء التحاليل اللازمة، واكتشفوا أن وفاة المريض كانت بسبب جرعة مميتة من المورفين. لضمان التحقيق الكامل في هذه الوفيات، ومن أجل تحديد ما إذا كانت الوفاة بسبب خطأ طبي أو فعل متعمّد، من المفترض أن يستجيب المحقّقون الجنائيون للمشهد الأولي للوفاة أينما حدثت، الأمر الذي يسمح لهم بفحص المسرح بدقة، وتوثيق المشهد بالصور، وتدوين الملاحظات الخطية للإجابة عن أسئلة مختلفة، على سبيل المثال: من أعطى الجرعة؟ أي ساعة؟ كيف كان الوضع الصحي للمريض قبل ذلك؟ وهل كان مراقباً بعد تلقّيه الجرعة؟ بعد ذلك تُشرّح للجثة، من أجل تحليل السموم لاستنتاج ما إذا كانت المواد الموجودة في العينات الجرعة المحددة الموصوفة من الطبيب المعالج، وما إذا كانت تناسب المعايير الطبية وحاجة المريض الطبية.

يلعب الطب الشرعي دوراً أساسياً خلال التحقيقات الجنائية في الممارسات الطبية الخاطئة. وفي الحالات التي تؤدي إلى الوفاة يكون لتشريح الجثة الدور الأهم في معظم الأحيان في التقييم والوقاية من الأخطاء الطبية. من المفترض أن يحدد التحقيق الجنائي في حالات «سوء الممارسة الطبية المميتة» سبب وفاة المريض وأن يحلل جميع تصرفات المعنيين من أطباء، وممرضين، وممرضات، والطاقم الإداري، وكل من كان لديه تعاطٍ مباشر أو غير مباشر مع المريض. فيخلص التحقيق الجنائي لتحديد العلاقة السببية بين وفاة المريض وسوء الممارسة المحدد.

أما في الحالات الأخرى التي لا تنطوي على وفاة المريض، بل أدت الأخطاء الطبية الى إصابات أوعاهات، يجري الاستعانة بالخبراء في العلم الجنائي الوبائي. في هذه القضايا، تعيّن المحكمة خبيراً جنائياً متخصصاً في سوء الممارسة الطبية لتقديم رأي علمي بشأن أي آثار جانبية ضارة من علاج مرض أو إصابة، أو لاستنتاج ما إذا كانت الإصابات او العاهات نتيجة لسوء الممارسة الطبية. تكون مهمة الخبير الجنائي أولاً مراجعة جميع السجلات الطبية للمريض، بما في ذلك السجلات المتعلقة مباشرة بالأحداث التي ربما أدت إلى سوء الممارسة الطبية، وأي سجلات طبية سابقة تتعلق بالحالة التي كنت تُعالَج في وقت الاشتباه في سوء الممارسة. ثانياً، إبداء رأي «جنائي وبائي» يختلف عن الرأي «السريري» لسبب الإصابات أو الوفاة التي يقدمها عادة الفاحص الطبي أو الطبيب الشرعي. ثالثاً، شرح المعلومات والمصطلحات الطبية المعقّدة بطريقة مبسطة، يمكن للشخص العادي فهمها.

بالإضافة الى ذلك من المفترض الأخذ بعين الاعتبار، أن هناك شكاوى كيدية تنتج عن أسباب شخصية أو قلة الثقافة أو لأسباب أخرى. ففي هذه الحالات، يكون الخبير الذي كلفته المحكمة قادراً على تحديد ما إذا كان الضرر ناتجاً عن الإجراء الطبّي أم لا. وللطبيب الحق في رد اعتباره من أي شكوى كيدية ترفع ضده. ولا شك أن اللجوء للتحقيقات الجنائية العلمية يساهم في كشف المسببات الفعلية للوفاة بشكل حاسم في معظم الحالات.

### العلم الجنائي الوبائي

يختلف تقييم العلم الجنائي الوبائي (Forensic Epidemiology) لسبب محدد لإجراء طبي (بسبب إهمال أو خطأ) عن «التقييم السريري» للسببية. الأول يركز على تحليل ومقارنة نسبة المخاطر بناءً على التقدير الكمّي لخطر «الإصابة أو المرض أو الوفاة» المرتبط بالإجراء الطبي (الإهمال، الخطأ) الذي تم التحقيق فيه، مقابل مخاطر «الإصابة أو المرض أو الوفاة» في حالة عدم التعرض للإجراء الطبي. بينما يركز التقييم السريري على التشخيص التفريقي differential diagnosis وتاريخ المريض لتقييم سبب الإصابة أو الوفاة.

### البحث عن السبب

تلعب "السببية" دوراً محورياً في تقييم الإجراءات القانونية التي تنطوي على ادعاء بالإهمال أو الخطأ الطبي. بمجرد التأكد من حدوث «إجراء» محتمل بسبب الإهمال أو الخطأ، وأن هناك نتيجة صحية معاكسة قد اتبعت هذا الإجراء، هناك سؤالان من المفترض أن يجيب الخبير عنهما.

**يمكن لخبير جنائي متخصص في سوء الممارسة الطبية تقديم رأي علمي بشأن أي آثار جانبية ضارة من علاج مرض او إصابة، أو لاستنتاج ما إذا كانت الإصابات و العاهات نتيجة لسوء الممارسة الطبية**

◀ أولاً، تحديد إذا كان الإجراء المزعوم مرتبطاً بشكل معقول بالنتيجة المعاكسة.

◀ ثانياً، إثبات أنه على الأرجح- على أساس أكثر احتمالاً (احتمال>50%) - أنه في حالة عدم التعرض لهذا «الإجراء»، لم تكن النتيجة قد حدثت للمريض.

### شك معقول زمنياً

من أهم المعايير التي يجري التحقيق بها هي المعقولية الزمنية، فكلما زاد الوقت بين التعرض للخطر المشتبه به (أو الإجراء الطبي الذي يجري التحقيق فيه) وظهور الأعراض، زاد احتمال وجود مخاطر أو أسباب بديلة – عن الإجراء الطبي المشتبه به - لتكون بمثابة سبب الإصابة. كمثال، الموت غير المبرر للمريض الذي يحدث بعد 3 أيام من تلقي حقنة أفيونية لا يرتبط بشكل معقول بالحقنة، لأن الجسد يزيل المادة الأفيونية بعد ما يقرب عشر ساعات. وفي هذه الحالة، سيكون الموت خارج نطاق التأثير الزمني المعقول للدواء.

3 أدلة تحت المجهر

◀ **السجلات الطبية:**

السجلات هي فئة الأدلة الأكثر أهمية في تحقيقات سوء الممارسة الطبية. يمكن أن تتضمن السجلات ملاحظات عن حالة المريض من الطبيب المعالج وأوراق الخروج من المستشفى وخطط العلاج والملاحظات الجراحية وأفلام التصوير المقطعي والتصوير بالرنين المغناطيسي. مع الأخذ بعين الاعتبار أن يكون لهذه المستندات حماية خاصة وأن يحافظ عليها من العبث.

◀ **الخبير الشاهد:**

الذي تعيّنه المحكمة، لتقييم إذا كانت الإصابة أو الوفاة هي نتيجة الإجراء الطبي، وبالتالي الشهادة على التقصير أو عدمه في الإجراء أو مخالفة الأصول العلميّة والمهنية والقانونية.

◀ **الادبيات والمقالات الطبية:**

في بعض الحالات، يمكن للشهود الخبراء الاعتماد على المقالات الأكاديمية العلمية المنشورة في المجلات البحثية الطبية. يمكن أن توضح هذه المقالات كيفية التعامل مع حالة معينة، وأحدث خيارات العلاج وأحدث الاكتشافات العلمية.

## المنطق وحده غير كاف لتحديد الأسباب

على عكس الحالات في ممارسة الطب الشرعي، حيث يكون الغرض الأساسي من الكشف على الجثة هو تحديد طريقة وسبب الوفاة، وتكون هناك درجة عالية من الارتباط بين التشخيص وسبب الوفاة، يتم تحديد «السببية» بسهولة كمسألة منطقية، لأن الدرجة العالية من الارتباط للعلاقة السببية تميل إلى استبعاد أسباب أخرى كالإهمال الطبي أو الأخطاء المتعمدة. في مثال جرح طلق ناري في الرأس، تكون السببية واضحة لأن مثل هذه الإصابات تكون قاتلة دائماً تقريباً، واحتمال حدوث سبب بديل للوفاة يتزامن مع وقت الإصابة بطلق ناري منخفض للغاية في معظم الظروف.

بالمقابل، لا يمكن تحديد سبب الوفاة لدى مريض مصاب بالالتهاب الرئوي، وانسداد الشريان التاجي الأيسر بنسبة 80%، والذي حصل على حقنة مخدرة في الوريد قبل 30 دقيقة من دخوله في توقف التنفس، والأهم أنه لا يمكن تحديده على أنه مسألة منطقية. في مثل هذه الظروف، فإن التحليل السببي الوحيد الذي يمكن أن يسفر عن نتائج صحيحة وقابلة للتكرار هو تقييم ومقارنة مخاطر الوفاة المرتبطة بكل سبب من الأسباب المعقولة. هذا الشكل من التحليل السببي ضروري بسبب درجة منخفضة نسبياً من الارتباط بين الوفاة والسبب.

◆ جريمة في السينما

# صندوق أسود لـ«الوباء الصامت»

■ شفيق طبارة

في 30 تشرين الأول 2015، اندلع حريق ضخم في ملهى «كوليكتيف» الليلي في العاصمة الرومانية، بوخارست، أثناء حفل موسيقي. حاول الجمهور، وغالبيته من الشباب، الوصول إلى مخارج الطوارئ التي تبيّن أن عدداً منها لا يستوفي المعايير المطلوبة. تسبب الأمر في هستيريا، وازدحام على المخارج، منع التدفق السريع والخروج الآمن، وترك عدداً من الساهرين فريسة لألسنة اللهب. بلغت حصيلة الحريق: 27 قتيلاً و180 مصاباً. لكن المأساة تواصلت بعد نقل المصابين إلى المستشفيات. إذ بدأت أعداد الوفيات بين هؤلاء بالارتفاع، حتى بين من أصيبوا بحروق طفيفة، أو من لم تكن إصاباتهم خطرة. زادت الوفيات باضطراد، ومن دون تفسير، حتى وصل عدد الضحايا إلى 64.

بعد تسريب أحد الأطباء صوراً لمصابين بالحروق، شرع صحافيون من صحيفة Sports Gazette في العمل على تحقيق استقصائي حول سبب ارتفاع عدد الوفيات. توصل التحقيق إلى أن بعض الذين عانوا من حروق طفيفة ماتوا بسبب الالتهابات البكتيرية التي ظهرت في المستشفيات الرومانية. إثر نقل بعض المصابين لتلقي العلاج في الخارج، قال الأطباء الأجانب إن سلالات البكتيريا المقاومة التي وجدت في تقرحات جروح بعض المصابين هو مما يوجد في المناطق التي تعيش

> بعد 20 عاماً من إدخال إصلاحات على النظام الصحي الأميركي وتطويره زاد عدد ضحايا الأخطاء الطبية عشرة اضعاف

حروباً. قادت التحقيقات إلى مزيد من الحقائق المرعبة: استخدام مطهرات مخففة، ومنتجات طبية منتهية الصلاحية، أخطاء طبية ورشاوى وفساد مدراء مستشفيات وشركات أدوية.

الفيلم الوثائقي "Collective" (2019) للمخرج الروماني ألكسندر ناناو، يلقي الضوء على هذه المأساة، ويعرض الصور والمشاهد والدعاوى والأخطاء الطبية ومشاهد مأخوذة من وسائل الاعلام واجتماعات الصحفيين والمسؤولين. ما حصل في بوخارست تحول إلى حملة وطنية كبيرة ضد السلطة والأطباء والمراكز الصحية والعاملين فيها، وفضيحة هزت رومانيا وأدّت إلى استقالة رئيس الحكومة وكثيرين من العاملين في المجال الطبي. وهذا الوثائقي ليس الأول ولا الأخير الذي يلقي الضوء على الأخطاء الطبية ومسؤولية النظام الصحي في العالم. في ما يلي اثنان من أهم الوثائقيات التي سلّطت الضوء على الأخطاء الطبية، أسبابها وكيفية معالجتها، والقضاء عليها إذا أمكن.

## «To Err is Human»

أصدرت «الأكاديمية الوطنية للطب»، عام 1999، تقريراً تاريخياً عن سلامة المرضى، بعنوان "To Err is Human"، يؤكد أن الأخطاء الطبية في الولايات المتحدة وحدها تقتل بين 44 ألف مريض و98 ألفاً كل عام. أحد كتّاب التقرير وأشد المدافعين عنه كان الدكتور جون آيزنبيرغ، القائد الأول لجهود سلامة المرضى والذي كان مديراً لوكالة أبحاث الرعاية الصحية والجودة. نشرت وسائل الاعلام قصصاً من التقرير تصف عدداً كبيراً جداً من الوفيات في المستشفيات بسبب الأخطاء الطبية. يومها، كان البحث مستمراً لمعرفة على من يقع اللوم وكيفية إصلاح المشكلة. عُقدت جلسات استماع في الكونغرس، واستجابت الوكالات الحكومية وشركات التأمين بسرعة بوضع خطط لتحديث الأنظمة، ووُضعت منظمات الرعاية الصحية والمستشفيات في موقف دفاعي، ما أدى إلى القاء اللوم على نسبة صغيرة من العاملين في القطاع الصحي ممن وُصف سلوكهم بأنه غير مقبول أو متهور أو إجرامي... إلا أن ذلك كله لم يجعل النظام الصحي بحد ذاته آمناً.

بعد عشرين عاماً، عمل المخرج مايك آيزنبيرغ، نجل جون آيزنبيرغ، على وثائقي أطلق عليه اسم التقرير نفسه الذي نشر قبل سنوات. عام 2018، صدر الفيلم الوثائقي "To Err is Human"، وكشف أن ثالث أبرز أسباب الوفيات في الولايات المتحدة هو نظام الرعاية الصحية بحد ذاته. وأوضح أن 1,7 مليون أميركي يتعرضون سنوياً لأخطاء يمكن الوقاية منها أثناء الرعاية الطبية، وتؤدي إلى وفاة نحو 440 ألف شخص سنوياً، أي عشرة أضعاف

> يمكن للصندوق الاسود لغرفة العمليات تسجيل كل ما يحدث قبل الجراحة وأثناءها وبعدها ومراقبة غسل اليدين، وعدد مرات فتح أبواب غرفة العمليات

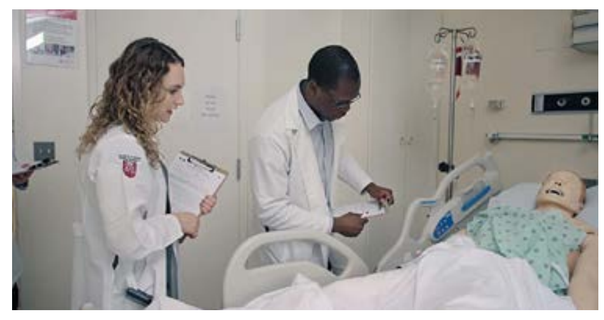

ما كان عليه الرقم عند نشر التقرير للمرة الأولى. يكشف المخرج أن الأخطاء الطبية «وباء صامت»، ويتبع أولئك الذين يعملون خلف الكواليس لخلق عصر جديد من سلامة المريض. من خلال مقابلات مع مسؤولي الرعاية الصحية، وأطباء، ورحلة عائلة كانت ضحية لأخطاء طبية تعرض لها الأب والابن، يقدم الفيلم نظرة فريدة حول مستقبل نظام الرعاية الصحية الذي يعيش كفاحاً مستمراً ضد الأخطاء التي يمكن الوقاية منها. يوضح الوثائقي أن مشكلات عدة تساهم في حدوث أخطاء طبية، من إجهاد الطاقم الطبي بسبب طول ساعات العمل، إلى ضعف التواصل بين الموظفين والأطباء والممرضين، إلى ثقافة الرعاية الصحية التي غالباً ما لا تقبل المساءلة عن الأخطاء.

تصف سو شيريدان، في الفيلم، كيف أصيب طفلها الأول، كال، بالبرقان عندما كان حديث الولادة. ولكن لأن كثيراً من الأطفال الحديثي الولادة يعانون من قدر صغير من اليرقان، لم يأخذ الأطباء الأمر على محمل الجد، فأخرجوها مع ابنها من المستشفى من دون اجراء الاختبارات المناسبة. تبيّن لاحقاً أنه كانت لدى الطفل مستويات عالية من مركب كيميائي أصفر يسمى البيليروبين، ما ساهم في تلف الدماغ وأدى إلى شلل دماغي. بعد سنوات، أصيب زوجها، بات، بورم في رقبته بيّنت الفحوصات أنه حميد وخضع لعملية لإزالته. لكن، لاحقاً، تبيّن وجود تقرير من المستشفى يؤكّد أن الورم خبيث، إما لم يدرج في سجل المريض الطبي أو لم يره الطبيب... لكن النتيجة أن السرطان انتشر وأودى بحياة الأب.

يصر الوثائقي على أن تحديد سبب استمرار حدوث الأخطاء الطبية أمر بالغ الأهمية لتقليل عددها. فقد وجدت الدراسات إنه يمكن الوقاية من 69% من العدوى المكتسبة في المستشفيات، وأن غسل اليدين يمكن أن يقلل من انتشار العدوى. لكن الموظفين لا يزالون، حتى اليوم، لا يغسلون أيديهم دائماً بين المرضى. ورغم أن توصيل المعلومات حول المرضى أمر بالغ الأهمية، إلا أن بعض المعلومات الأساسية لا تزال غير منقولة، أو يُساء فهمها أثناء تغييرات المناوبة. ويصر الوثائقي على أن المشكلة لا تتعلق بالأشخاص السيئين في الرعاية الصحية، ولكن المشكلة الأساس هي أن هؤلاء يعملون في أنظمة سيئة تحتاج إلى أن تكون أكثر أماناً. ويوضح أن الولايات المتحدة تستثمر عشرات مليارات الدولارات لإيجاد علاجات لأمراض، لكنها بالكاد تستثمر جزءاً يسيراً من ذلك لإيجاد علاج لهذا الوباء القاتل.

ويلفت الوثائقي إلى قوانين وأنظمة جديدة يجب أن تؤخذ في الاعتبار لتخفيف الأخطاء الطبية، وللحديث عنها بطريقة أكثر شفافية مما سيغير العلاقة الابوية بين الطبيب والمريض. لكسر الحاجز الذي يخفي الأخطاء الطبية، يجب أن يأخذ الأطباء دروساً حول كيفية توصيل المعلومة للمريض وعائلته. ولمعالجة الأخطاء وسببها والمسؤول عنها داخل غرفة العمليات، يحاول الخبراء تصميم برامج لاكتشاف مصادر الأخطاء التي تهدد الحياة وتقليلها. واحد من هذه البرامج مستوحى من الصندوق الأسود الموجود في كل طائرة. خلال الأعوام الماضية تعاون أطباء مع متخصصين في مجال الكومبيوتر لتطوير صندوق أسود لغرفة العمليات، من خلالها يمكن للمحللين المدربين تسجيل كل حركة وكلمة في غرفة العمليات قبل الجراحة وأثناءها وبعدها. يقوم المحللين والكاميرات بتسجيل ومراقبة غسل اليدين، وعدد مرات فتح أبواب غرفة العمليات، وتفاصيل اجراء الجراحة. كما يمكن للصندوق الأسود التقاط الأخطاء الفنية والجراحية وينبه إلى ثغرات الاتصال بين أعضاء الفريق. فيما تقوم المستشفيات بتدريب الأطباء ليكونوا أكثر شفافية مع مرضاهم عندما يرتكبون أخطاء. ويستخدم بعضها عمليات محاكاة مع ممثلين لمساعدة الأطباء على تعلم كيفية تحمل المسؤولية عن كل ما يفعلونه، حتى عندما يؤدي إلى نتائج سلبية. تساعد قوائم المراجعة الخاصة بالطاقم الطبي، مثل تلك التي يمر بها الطيارون وطاقم الخطوط الجوية قبل كل رحلة، الأطباء في غرف الطوارئ وغرف العمليات وأجنحة المرضى في تقليل عدد الأخطاء الطبية من خلال جعل أنشطة سلامة المرضى أكثر روتينية.

## «Bleed Out»

عام 2009، خضعت جودي، والدة ستيف بوروز، لجراحة استبدال مفصل الورك. خرجت من العملية مع تلف في الدماغ ومشاكل في الحركة بعد غيبوبة استمرت أسابيع غيرت حياتها وحياة اسرتها.

"Bleed Out" للمخرج والممثل الكوميدي ستيف بوروز يتبع رحلة استمرت عشر سنوات لمعرفة ما حدث لأمه وعلى من يقع اللوم. وثائقي يغوص عميقاً في قلب نظام الرعاية الصحية في أميركا. ما حدث لجودي معقّد، بدأ عندما فقدت أكثر من نصف الدم في جسدها، ووُضعت بعد الجراحة في وحدة العناية المركزة الالكترونية. وتهدف هذه الوحدة التي تشمل عادة ميكروفونات وكاميرات ڤيديو وأجهزة إنذار، إلى توفير المراقبة على مدار 24 ساعة. ولكن، لم يلاحظ أحد في هذه الوحدة أن جودي كانت في غيبوبة لمدة يوم ونصف يوم على الأقل.

تدور أحداث الفيلم الوثائقي على مدى عشر سنوات، ويسلط الضوء على جهود ستيف لمعرفة الحقيقة حول نظام الرعاية الصحية الأميركية، أثناء محاولته المضي قدماً في دعوى قضائية ضد المراكز الطبية التي كانت مسؤولة عن والدته. طوال مدة الفيلم، يحاور ستيف ويطرح الأسئلة على الأطباء، ومقدمي الرعاية المعنيين بحالة والدته، وكانت قصصهم تتغير دائماً. ضم الوثائقي، أيضاً، لقطات حقيقية من كاميرات تجسس ومقابلات وشهادات في قاعة المحكمة لمشاركة قصه والدته وإثبات العيوب في نظام الرعاية الصحية الأميركية.

يُظهر الفيلم معاناة ستيف مع أكوام الفواتير الطبية التي لا نهاية لها، وعقبات شركة التأمين التي تعود جميعها إلى نقص الشفافية والمساءلة في الطب الحديث. ويقول إن 80% إلى 90% من حالات سوء الممارسة الطبية إما تم إسقاطها أو عدم نجاحها في المحكمة. حتى قضيته تم اسقاطها بعد ست سنوات من الجراحة الثانية لوالدته رغم الأدلة التي جمعها. طوال رحلته في المستشفيات وغرف المحاكم ومرافق إعادة التأهيل وكليات الطب والعيادات في جميع أنحاء المقاطعة، يقول إن ما كان هدفًا بسيطًا في البداية تحول إلى شيء أكبر بكثير. على مدار السنوات العشر التي وثق فيها بوروز معاناة والدته، سجل العديد من المحادثات (علانية وسرية)، احداها مع الطبيب الذي أجرى الجراحة لوالدته.

أحد أبرز أسباب نجاح الفيلم الوثائقي هو استخدام المخرج لتقنية وكاميرات وحدة العناية المركزية الالكترونية، وهو نظام تستخدم فيه الكاميرات في وحدة العناية المركزة لمراقبة الكاميرا. وعندما أراد ستيف التحدث مع الطبيب المسؤول عن رعاية والدته في الوحدة المركزية في ليلة ما، قالوا إنه لا يوجد طبيب ولكن هناك طبيب كاميرا يقدم الرعاية عن بعد! أراد ستيف من خلال الوثائقي أن يحكي قصة والدته التي توفت بعد عشر سنوات من الخطأ وعانت الكثير خلال هذه السنوات، لكن فيلمه أصبح فيلم كل المرضى وعائلاتهم ممن مروا بالتجربة نفسها.

# حقوق المرضى

## قسم أبقراط

إني أقسم بالله رب الحياة والموت، ووالهب الصحة، وخالق الشفاء، وكل علاج، وأقسم بأسقليبيوس، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعًا، وأشهدهم جميعًا على أني أفي بهذه اليمين وهذا الشرط وأرى أن المعالج في هذه الصنعة بمنزلة آبائي وأواسيه في معاشي، وإذا احتاج إلى مال واسيته وواصلته من مالي وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لإخوتي، وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجرة ولا شرط، وأشرك أولادي وأولاد المعالج والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط أو حلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك وأقصد في جميع التدابير بقدر طاقتي منفعة المرضى وأما الأشياء التي تضرب بهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمتنع بها بحسب رأيي ولا أعطي إذا طلب مني دواء قاتلًا ولا أشير أيضًا بمثل هذه المشورة وكذلك أيضًا لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة (شيء يتداوى به النساء) تسقط الجنين، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة، ولا أشق أيضًا عمن في مثانته حجر، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل، وكل المنازل التي أدخل إليها لمنفعة المريض، وأنا بمعزل خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادي مقصود إليه في سائر الأشياء، وفي الجماع للنساء والرجال، الأحرار منهم والعبيد، وأما الأشياء التي أعاينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا يُنطق بها خارجًا فأمسك عنها، وأرى أن أمثالها لا ينطق به، فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسدها شيئًا كان له أن يأمل لديه وصناعته على أفضل الأحوال وأكملها وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائمًا ومن تجاوز ذلك كان بضده.

### حق الحصول على رأي طبي ثان

### الحق بالمعاينة من طبيب مختص

### حق اختيار مصدر الادوية والتحاليل

### الحق في التخيير بين طرق العلاج

### عدم بدء العلاج قبل الموافقة

### الحق بالخصوصية والسرية

### الحق في الاستماع إليهم

### عدم جواز احتجازهم

### الحق بالرعاية الصحية والمستلزمات الطبية

### الحق بالتثقيف الكافي حول وضعهم وعلاجهم

### الحق بالرغبة بإطلاع ذويهم على تفاصيل حالاتهم

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة، صادق علوية، جنان الخطيب، شفيق طبارة
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous
al_qaous
alqaous22
alqaous
01/34 99 54
info@alqaous.com
www.alqaous.com